8me Année No. 352

Lundi - 1 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق أول أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

صفحة		
٥٦١	فقهاء بيزنطة	أحمد حسن الزيات ... ...
٥٦٣	فى أرجاء سيناء	الدكتور عبد الوهاب عزام
٥٦٥	مزامير النفس العربية ...	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٥٦٩	نشر الثقافة وكيف يكون ؟	الأستاذ محمود العمرى ...
٥٧٢	تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات	الدكتور على عبد الواحد وافى
٥٧٦	من وراء النظار	«عين» ... ...
٥٧٧	عقيدة النازى المالية ...	الدكتور جواد على ... ...
٥٨٠	أيها الأطفال !	الأديب أحمد محمود فهمى ...
٥٨١	عيد الربيع ... [قصيدة]	الأستاذ أحمد محرم ... ...
٥٨٢	الجبل الأبيض «	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٥٨٢	الفيلسوف المجهول «	الأستاذ عبد الرحمن الكيالى
٥٨٣	« الأدب فى أسبوع » : توطئة ... ـ الملاح التائه ! ـ والشعر أيضا !	الأستاذ محمود محمد شاكر
٥٨٥	لبالى الملاح التائه ـ الجندول	
٥٨٦	هذا أستاذ	الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
٥٨٩	تضارب فى الرأى يؤدى إلى كشف خطير	الدكتور محمد محمود غالى ...
٥٩٢	أم بلا ولد ! ... [قصة]	الأستاذ محمد سعيد العريان
٥٩٥	عام الفيل وميلاد الرسول	الدكتور إسماعيل أحمد أدهم
٥٩٦	أبيات فى ديوان إسماعيل صبرى ليست له	الأديب زكريا على عبدالله
	وفاة الأستاذ المستشرق « مرجليوث » — نشر المودة بين العالم	
٥٩٧	نقد وتصويب	الأستاذ على الجندى ... ...
٥٩٨	رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة أيضاً	الأستاذ مشكور الأسدى ...
	« وحى الرسالة » : فى رأى سيدة فاضلة	السيدة وداد صادق عنبر
	ذكرى الشاعر المصرى إسماعيل صبرى باشا	
٦٠٠	نشأة النحو ... [كتاب]	بقلم الأستاذ محمود مصطفى

فقهـــاء بيزنطة

فقهاء بيزنطة هم الذين كانوا يجادلون فى البيضة والدجاجة : أهذى أصل تلك ، أم تلك أصل هذى ، بينما كان محمد الفاتح يرسل السواعق دراكاً على أسوار القسطنطينية ، فلا يخرجهم من شدة الخلاف وحدة الجدل ما فوقهم من حمم المنايا ، ولا ما حولهم من صرخات الفزع !

وفقهاء بيزنطة هم الذين يجادلون اليوم فى محراب المسجد بعد ألف ومائتى عام : أهو سنة فيبقى ، أم هو بدعة فيزول ؛ وفى محمل شجرة الدر : أهو موافق للشرع فيسير ، أم هو مخالف له فيقف ! يجادلون فى هذا وفى ذاك بين أعمدة الجرائد والمساجد ، ويسرفون فى الجدال حتى يتشعب الخلاف ويتمادى ، ويتقسم الرأى ويتمادى ، فيكون لكل شيخ شيعة ، ولكل شيعة عصبية جاهلة تمزق ما وصل الدين به القلوب من وشائج الإخاء والمودة

نعم يجادل فقهاء بيزنطة اليوم فى المحراب والمحمل ، ومن قبل كانوا يجادلون فى زر العمامة أيُبتر أم يُضفى ، وفى شعر اللحية أيُحفى أم يُعفى ، وفى قبر الميت أيسوى بالأرض أم يُقام ؛ حتى أدخلوا فى روع العامة من طول ما شغلوهم بهذه الصغائر أن الدين هو

هذا وليس غير هذا . فلو تسنى لك أن تكشف عن عقيدة الإسلام فى ذهن العامى أو شبهه لما رأيت إلا صورة مشوهة من رسوم العبادات وأوضاع العادات وألوان الأدعية . أما الإسلام الذى وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية فى كل زمان وفى كل مكان، فذلك معنى لم يجر فى شعوره ولم يدخل فى علمه . والعوام وأشباه العوام هم جملة الأمة الإسلامية اليوم ، فما تسمعه من هذا تسمعه من ذاك ، وما تراه هنا لا بد أن تراه هناك . وعلة هذه الجهالة الفاشية هى طريقة أهل الدين فى تعلمه وتعليمه ونشره ، فهم يقفون فى تحقيقه عند النقل ، ويقتصرون فى تطبيقه على الشكل ، ويكتفون فى نشره بهذه المظاهر الصوفية الباطلة ؛ فكان من جرائر ذلك عليهم أن قصرت مداركهم عن مداه ، وبان على القدر الذى شدوه منه الضيق والضحل والجمود ، ووهم الناس أن ما عندهم هو الدين كله فزهدوا فيه ونفروا منه .

* * *

إى والله لا تزال فقهاء بيزنطة يفرقون بين الناس بصدعات الرأى والهوى فى المحراب والمحمل ، وفيما هو أدنى عن المحراب والمحمل ، وهم يعلمون أن الأديان البشرية التى وضعها الطغاة تحدياً لله وتهجماً على دينه ، تحاول بقوة الجيش وحجة المدفع ودعاية المذياع أن تخفت ذكر الله فى كل أرض، وتطفئ نوره فى كل سماء. وهذه المذاهب الأرضية إنما تجادل خصومها فيما تزعمه لنفسها من قتل البؤس ومحو الفروق ونشر العدالة، لا فيما تتخذه لشعائرها من بِدَع ، أو تبتدعه لمظاهرها من شكول

ثم جعلوا غاية الدين أن يتزيوا بالورع ، ويتفقهوا فى علومه بتشقيق الجمل وتوليد الألفاظ وتمديد الفروض ، فإذا زادوا على ذلك شيئاً فهو الوعظ الذى يميت الطموح ويخمد العزيمة ويحقر الدنيا ويهيئ النفوس المثقفة التى أعوزها النور الهادى والصوت المهيب لأن تصغى لما يتقوله المبشرون على الإسلام من الأباطيل ويزورونه عليه من الشُّبه .

* * *

ليس من البر بالدين يا ورثة الأنبياء أن تخذلوا دعوة الله لتنصروا دعوة الإنسان

إن الدعوات السياسية التى تتخذ شعار الإصلاح ، أو تلبس مسوح الدين ، تسلك إلى النفوس المؤمنة المطمئنة سبل الغرور والغى فى غفوة من العقل أو سورة من الجهالة ، فتنزعزع إيمانها بالشكوك ، وتذهب اطمئنانها بالفتون . فإذا أعددتم لحماية هذه النفوس المغرية الغضة من وساوس الفتنة وهواجس الجهل ؟ إننى ألقى هؤلاء النشء فى كل يوم ، وأحدثهم فى كل لقية ، وأكشفهم فى كل حديث، فلا أجد عندهم من الإسلام إلا ما كان عند نصارى القرون الوسطى منه ؛ ثم لا تسمع منهم إلا غمغم من الألفاظ المنكورة المكرورة عن الزواج والطلاق وحرية الفكر ومجافاة التمدن . فإذا أخذت تقرر لهؤلاء كيف كان الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاجاً لأدواء المجتمع ونظاماً لفوضى الطبيعة، وتدلل على أن ميزة الإسلام التى تفرد بها هى أنه يساير التطور ويطاول الزمن ، فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق ، سألوك دهشين : وأين نجد بيان هذا ؟

والمعضلة التى لم نجد لها إلى اليوم حلاً هو إجابتهم عن هذا السؤال : وأين نجد بيان هذا ؟ الواقع الذى يكسف البصر ويرمض الفؤاد أنك لا تجد فى مكتبة الدين الإسلامى على ضخامتها وسمتها كتاباً واحداً يشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده ، على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث . وما أظن ديناً من الأديان قد نكب فى نفسه وفى أهله بمثل هذه النكبة !

فلو أن الله وفق (جماعة كبار العلماء) فألفوا هذا الكتاب بدلاً من تأليفهم فى (المياه التى يجوز بها التطهير) مثلاً لدفعوا عن أنفسهم مرة الجمود وعن دينهم نقيصة التخلف.

ولكن كبار العلماء لم يدخلوا هذه (الهيئة) إلا ليعظم القدْر ويضخم المرتب، فكيف نحشمهم أن يبطلوا كيد المبشرين بوضع هذا الكتاب ، أو يفصلوا بين المجادلين المتقاتلين فى المحمل والمحراب ؟

أحمد حسن الزيات

٣ ـ فى أرجاء سيناء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دير سنت كترين

— ١ —

عطفنا إلى اليسار فى شعب من وادى الشيخ ، فررنا بأبنية قليلة الملاط كأنها حجارة مرصوصة ، وعرفنا من بعدُ أنها كانت للجنود الذين رافقوا عباس باشا الأول حينما أقام فى هذه البقعة من سيناء ، وقد رأينا بناء كبيراً على جبل شامخ قريب من الدير وهو قصر عباس باشا ، وكان يحب الإقامة فى البرارى ، ولا سيما فى برّية سيناء . وبلغنا الدير قبيل الغروب ، فإذا حديقة إلى اليمين ذات سور قصير ، بينها وبين الجبل طريق ضيقة تؤدى إلى الدير

والدير بناء واسع عال يحيط به سور متين علوه أحد عشر متراً

وفى جداره الغربى باب صغير دخلناه إلى باب آخر وراءه باب ثالث إلى اليمين . وهذا السور الضخم ، وهذه الأبواب الصغيرة المتتابعة تدل على ما كان يخشاه أهل الدير من غارات البدو وغيرهم فى العصور السالفة . وللدير فى أعلى جداره الشمالى باب عليه وقاية من الخشب أعدّ للدخول إلى الدير وقت الخوف . فيرفع الداخل فى سلة معلقة ترفعها حبال على بكرة كبيرة تسمى « الدوّار » ، وتشد الحبال إلى عمود له ترس كبير يدور به عدة رجال ، فتلتف الحبال وتمرّ على البكرة فترفع السلة ، ومن هذا الباب أدخلت أمتعتنا

دخلنا إلى أبنية كثيرة لا يتيسّر وصفها ، فإنها لم تخطّ فى وقت واحد ، بل بنيت فى عصور مختلفة . صعدنا درجاً إلى مستوى ، ثم صعدنا مرتين فلقينا رئيس الدير فدخلنا إلى حجرة كبيرة ، فجلسنا نتحدث وقدّمت إلينا القهوة على الطريقة المصرية وعرض علينا النبيذ ، والنبيذ يصنع فى الدير وفى الواحات التابعة له فى أنحاء سيناء ، وهو من التمر ، ولخمور الأديرة صيت ذائع فى الشعر العربى ، ومن أجل هذا كثر ذكر الأديار فى الشعر منذ عهد أبى نواس ، كان الشعراء يقصدونها لبعدها عن البلدان ونزاهتها وما فيها من خمور .

ثم خرجنا من الحجرة لنرى الحجر التى أعدّت لنزولنا ، فصعدنا إلى طبقة ثم أخرى فى الجهة الغربية ، فإذا مكتب رئيس الدير ، ثم غرفة كبيرة للجلوس والمائدة ، ثم مطبخ ، ثم صفّ من الحجر أمامها طنف يفضى إلى الجناح الجنوبى من الدير ، وقد عُمّر حديثاً بالأسمنت المسلح فكان شذوذاً فى هذه الأبنية العتيقة

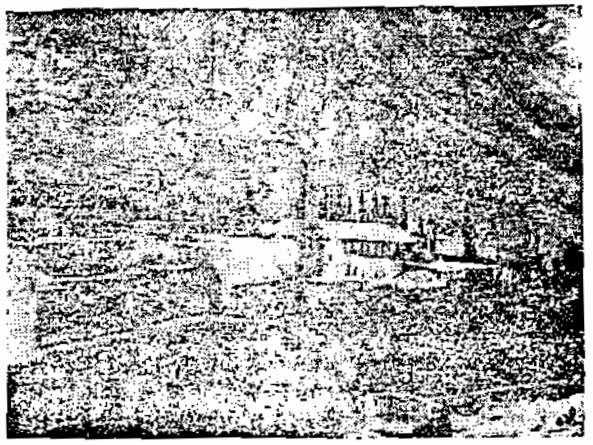

منظر عام للدير

ويُفضى الدرج الصاعد إلى هذه الطبقات العليا إلى سطح تحده من الشمال والغرب شرفات السور المطلة على حديقة الدير ومدخله . وهناك مدافع صغيرة يقال إن بعضها من أيام السلطان سليم ، وقد أهديت إلى الدير لمدافعة المغيرين

أكرم القوم مثوانا فأنزلونا فى عشر حجرات فى كل حجرة سريران . فأمضينا ليلتنا مستريحين

— ٢ —

بنى هذا الدير القيصر جستينيان حوالى سنة ٥٤٥ م ، باسم كترين زوجه التى عرفت من بعد باسم سنتا كترينا ، فى موضع يعلو سطح البحر بنحو خمسة آلاف قدم ، وهو يشبه مربعاً طول ضلعه ثمانون متراً . وله أوقاف كثيرة فى سيناء ومصر وبلاد اليونان . وكان له أوقاف كثيرة فى بلاد الروس استولى عليها البلشفيون . له فى سيناء بساتين كثيرة وأديرة وكنائس ، وله أبنية فى القاهرة والإسكندرية والسويس ، ويقيم مطران سيناء فى القاهرة وقت الشتاء

وأعظم غلات الدير الآن ريع مائة فدان فى سرياقوس وهبها له عباس باشا الأول . وكان دخل الدير زهاء ستة آلاف جنيه نقصت كثيراً بعد استيلاء الروس على أوقافه

وينفق بعض الريع على أعراب سيناء ، يعطون الخبز كل يوم ولكل واحد من الأعراب الذين يقصدون الدير أن يأخذ الخبز

يوماً بعد يوم ، ثلاثة أرغفة لكل إنسان . وكان فى الدير رهبان كثيرون ثلاثمائة أو أكثر وهم الآن زهاء الأربعين .

— ٣ —

وفى صبيحة يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢٣ يناير) سار معنا أحد الرهبان ليرينا بعض أبنية الدير فذهبنا إلى الكنيسة الكبرى : باب ضخم من الحديد ثم باب خشبى دقيق الصنع عتيق يقال إنه من عهد جستنيان

ويلقى الداخل بهو كبير على جانبيه سفّان من عَمَد الجرانيت ثم رواقان وراء الأعمدة. وفى الكنيسة من النقش والتذهيب ومن الصور والألواح ما يُعيى الناظر إحصاؤه بله التأمل فيه ومعرفة دقائقه

ومما أذكر من هذه المناظر منبر إلى اليمين عليه صورة للدير واضحة ملوّنة ، وهى من تصوير الأب كرنارس الكريتى من مصورى القرن الثامن عشر الميلادى ؛ ومن الصور القديمة صورة للسيدة مريم تحمل عيسى عليه السلام ويقال إنها من صنع لوقا الإنجيلى ، وصورة أخرى يقال إنها صنع جستنيان

ويعلو هيكل الكنيسة عقد قد صور عليه المسيح والرسل والأنبياء بالفسيفساء فى جمال وإتقان الخ

ووراء هذه الكنيسة كنيسة صغيرة لسنت هيلانة وتسمى كنيسة العلّيقة ويقال إنها فى مكان شجرة العليق التى رأى فيها موسى عليه السلام النار ، وفى الجدار الشرقى كوة تقابل صدعا فى الجبل. وتدخل الشمس يوم ٢٣ مارس من الصدع إلى الكوة فتقع على مكان الشجرة . ووراء الجدار شجرة يزعمون أنها هى شجرة موسى ، ولكنى لم أرها

ويُلزم داخل هذه الكنيسة الصغيرة بخلع نعليه اقتداء بموسى عليه السلام فى القصة التى ذكرت فى القرآن الكريم: «فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى»

وخرجنا من الكنيسة إلى مشاهد أخرى منها مكتبة الدير وفيها كتب دينية كثيرة قليل منها باللغة العربية . وقد رأيت هناك تمثالاً لاسماعيل باشا الخديو فسرّنى جداً أن رأيته فى هذا المكان فشعرت أن سلطان مصر ممتد إلى هذا الدير

ثم رأينا مسجد الدير ، ولا ريب أن القارىء سيعجب حين يقرأ هذا التركيب المتناقض : « مسجد الدير » ، ولكنها حقيقة ، ففى الدير مسجد صغير ملاصق كنيسة صغيرة . وهو مسجد ساذج له منبر قديم قد وضعت عليه أعلام ضرر كشة جديدة مصنوعة فى مصر ؛ على السَّلم الأمامى « إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » من فؤاد الأول . وعلى كل من العمين الجانبيين : لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . من فؤاد الأول . والتاريخ ١٣٤٩

منظر فى الدير تظهر فيه مئذنة المسجد

وفى جانب المسجد منضدة عليها كوزا ضريحين مصنوعتان فى مصر أيضاً أهداها الملك فؤاد رحمه الله ؛ إحداها لقبر النبى هرون والأخرى لقبر النبى صالح ، وتؤخذان فى مواسم الزيارة ، ثم تردان إلى الدير فتحفظان فى المسجد

وبجانب المسجد مئذنة مربعة لها سلم خشبى وفيها ثلاث طبقات أو أربع صعدت فيها مع بعض الرفاق وشاقنى الأذان هناك فأذّنت، ولعل هذا الأذان كان إيناساً لهذا المسجد المعطل المستوحش

وكنت قرأت فى كتاب نعوم شقير عن سيناء، أن على منبر هذا المسجد كتابة قديمة ، وأن فيه كرسياً قديماً ، ولكنى لم أجد الكتابة ولا الكرسى، فسألت المطران، فقال: حفظناها فى المكتبة. ولست أدرى لماذا لم يحفظا فى موضعهما من المسجد . وكان المرحوم أحمد زكى باشا زار الدير ونسخ الكتابة التى على المنبر والكرسى . فأما الكتابة الكوفية التى على المنبر فهى مصورة فى كتاب شقير ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير. نصر من الله وفتح قريب، لعبدالله ووليّه أبى على المنصور، الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتصرين

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تمهيد :

أستوحى روح مولى نفوسنا وسيد عقولنا وآخذنا إلى رب الحياة ومقدمنا إليه بسنته وحنيفيته السمحاء (محمد) ، ليملأ قلبي ويفيض على قلمي ويهديه ويسدده في وفائه له ولقوميته التي حملت أجل الأمثال العليا في الفكرة والفطرة والخلق والمعاملة

أستوحي هذا الروح الأكبر ، ويتعرف قلبي الصغير إلى قلبه الكبير ، كما يتعرف الجدول الضحضاح إلى النهر البراح ؛ وأستعينه في خدمة النفس العربية بالمساهمة في حملها على إدراك فضائلها وحاجة الإنسانية إليها .

وإنما أتوجه إليه إذ هو باعث روح أمته العجيبة وخلدها على مر الأيام وكر الأعوام ، وموحد شملها ، وفارض أمجادها على القلوب والعقول

أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته . وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس ميه . أثق بالله »

والخليفة الآمر الفاطمي تولى الخلافة من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤

وأما الكتابة التي على الكرسي فهي أعظم خطراً ودلالة على عناية الفاطميين ببناء المساجد في هذه البقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمل هذا الشمع والكراسي والجامع المبارك الذي بالدير الأعلا والثلاث مساجد التي فوق فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحضر الساحل ، الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمري »

والآمري نسبة إلى الآمر بأحكام الله . فالكرسي والمنبر صنعا في زمان الخليفة الآمر

(الكلام صلة) عبد الوهاب عزام

وأومن إيماناً لا يتزعزع أن أمته هذه لا ينقصها إلا الوحدة في القلوب أولاً كما توحدت على يديه حتى تعود فتنهض بجسمها العملاق الهائل فتستلم الشمس من الشرق لتسلمها إلى المغرب

صورة رمزية للقرطي
بريشة الأستاذ سعيد تحسين

وأستوحي المهد الأول الذي درجت فيه هذه الأمة العجوز وانبثق منه ينبوعها الأزلي ... ذلك المهد الناطق بالصمت ، العامر بالنجوم ، الحصين بالتجرد والتفرد ، المبني بالجبال ، المفروش بالرمال ، مراد الأرواح ، ومجتلى الإلهية ، ومبعث النبوات ، ومركز المعمور ، وملتقى الشرق بالغرب ...

كما أستوحي بلادها الثانية التي فاضت عليها أمواجها ، وتلاحقت أرتالها ، ونشرت عليها سلطانها الروحي واللغوي ، وسطرت على أديمها تاريخها بعروشها وفتوح سيوفها وأقلامها

وحينما أستوحي كل أولئك أجد السماء تنطق والأرض تنطق وكل شيء يوحي ويلهم ويدفع القلم دفعاً إلى التسطير والتحرير لبعث هذه الأمة والتفاني في خدمتها والتفادي في إحياء مثلها الأعلى الذي رسمه الله في قلب أبيها محمد ، وملء أسماعها بأناشيد مجدها وترانيم وحدتها حتى تعود فتملأ الدنيا وتشغل الناس وتفتر

أشخاصها وكلماتها الصامتة والناطقة فى مجاهل الأرض ، كما تنتثر النجوم فى مجاهل السماء

غير أنى أبادر فأبرأ إلى الله من العصبية القوميـة الجاهلية وضيقها وسفاهتها على غيرها ، وإنما أرجو أن تقوم العربية كما قامت أول أمرها على يد أبيها محمد أداة تنظيف للبشرية وتوكيد لوحدتها ... ولذلك أبادر فأنبه إخواننا وأصدقاءنا من الجنسيات الإسلامية الأخرى إلى هذا حتى يستيقنوا أننا لا نريد مفاخرة ولا منافرة جنسية دموية قائمة على زعم فروق جوهرية بين الأجناس والألوان ؛ وإنما هى دعوة للعرب — وهم مادة الإسلام الأولى وقوم القرآن — إلى الاعتداد والاستمساك بالمثل العليا التى اختار الله القومية العربيـة لحملها إلى الناس ، وبالصفات الطبيعية العربية العليا التى كانت سنداً لهذه المثل

وقد دعانى إلى اختيار هذا الزمان للبوح بهذه الأناشيد التى طالما ترنمت بها نفسى معانى مطلقة حرة غير مصبوبة بألفاظ ، أننى وجدت الأقدار تنزل فيه وتتلاحق بسرعة وتتولى تغيير مقدرات الأرض وأوضاعها النفسية والجغرافية ، ووجدت صراع القوميات والآراء والمعتقـدات والفلسفات فى رءوس الناس وقلوبهم لا يقل قسوة وعنفاً واحتداماً عن صراع القوى الحديدية العمياء النارية التى تأكل الأخضر واليابس وتحطم القائم والحصيد وبين هذين الصراعين يقف قوى العرب متفرق الرأى فى الحاضر مختلف التقدير للمستقبل حائرى الألبـاب لا يكادون يعرفون فى أى النواحى موضعهم ، ولا من أى الآفاق مطلع مستقبلهم . ولا يكادون يعرفون ما فى مصاحفهم ودساتيرهم من المثل العليا التى تستطيع أن تجمع أمم الأرض كلها على حدود العدالة والسلامة الإجماعية متى وجدت قوماً يؤمنون بها ويحسنون ذلك الإيمان ، ويمثلونها خير تمثيل ويدعون إليها بأسلوب هذا العصر الذى يعتمد على براعة الاستلفات والإعلان

وذلك لأن قوى فقدوا « الأب » الواحد الذى يجب أن « يلدوه » فى كل جيل ليتكلم بلسانهم ويتبنى قضيتهم ويتولى حراسة ميراثهم القلبي والفكرى والمادى حتى لا تحوه الغفلة أمام الأقدار التى لن تزال تغير أوضاع الناس ومقدرات الأمم ، ولا ترحم الضعيف الكسلان المتوانى فى حراسة حقه وأمجاده بالسيف والقلم ، ولا تقيم وزناً لمن لا يقيم وزناً لقوانين الطبيعة وسنن الله فيكتفى بالأمانى والأحلام وتزويق الكلام ويترك ما آمن الله به وأولو العلم وهو الوحدة والعدالة والعلم والعمل

فإلى أن يوجد الأب الواحد العادل العالم العامل ، فيتولى بوحدة فكره وفنه وضع القضية العربية الوضع المحكم وتنسيق قواها التنسيق البديع ، ويتولى بعدله توزيع الاهتمام والشعور على كل بقعة فى الوطن العربى الأكبر ، ويتولى بعلمه الإحاطة بالدقيق والجليل من شئون أمته فى بطون وديانها وشعاب جبالها فى صحرائها وخضرائها ، فى حواضرها وبواديها ، من الخليج الفارسى إلى الأطلسى ، ويتولى بعمله جمع أيديها حتى تكون يداً واحدة ، تصفق بها فى مواثيقها وعهودها صفقة واحدة ، وتلوح بها لأعدائها قبضة واحدة وتضرب بها قيودها وأغلالها ضربة واحدة أقول إلى أن يوجد ذلك الأب لا أقل من أن ينشد لها القادرون على الإنشاد والبيان بزاميرهم وأبواق تهتف فى أرضها النائمة بنداء اليقظة والانبعاث فى فجر الحياة الجديدة التى لا بد فيها لطالبى المجد من التبكير للسبق فى المضمار

وإن قدر الله — لا قدر ا — فأفلت الحاضر الراهن من أيدى العرب من غير أن يجمعوا أمرهم ويخفّوا فى طريق الحياة مع الزمن الذى يجرى بالناس ، ويخضعوا أجسامهم وعقولهم لضرورات العلم والقوة والاتحاد وملاقاة الصعاب بجبهة متحدة ، فسوف تموت آمال وتحبط أعمال وتحدث أهوال !

ولست أعلم زمناً أصلح للسعى إلى تحقيق الجبهة العربيـة الواحدة ، وأدعى إلى الإيمان بها من هذا الزمن الذى تداس فيه الأمم الصغرى ، ولا يكون فيه لغير القوميات الـكبرى وزن ، أو اعتبار فى أى معيار . .

ولست أعلم كذلك قوماً لهم مثل أوطاننا المتصلة المـكونة من مجموعة نادرة فريدة من الوديان والسهول والجنات والأنهار ، ولهم مثل أعلى واحد فى العقيدة والتقاليد والأخلاق ، ولهم لغة واحدة يفرغ عليها التاريخ والدين جلالاً وسحراً ، ثم يتوانى قادتهم وزعماؤهم فى استغلال هذه الظروف والفرص هذا التوانى الذى وراءه التفكك وتبديد الميراث

ويشهد الله أننى لا أتمنى قيام القومية العربية للانتفاع فقط بما فيها من العزة لكل فرد ينتسب إليها ، ولا لما فيها من الخيلاء والكبرياء اللتين تصاحبان الغرور القومى لدى أكثر الأقوام ...

ولكننى أتمنى قيامها للاعتزاز أولاً بمثلها الأعلى الذى رفعته ورفعت الحياة به أيام أن كان لها السلطان والصولجان ... ذلك المثل الذى لا يتحقق التوازن الدولى ، والعدل الطبيعى إلا به ، ولا يضع علاقات مودة ، ومعانى بر جديدة بين شعوب الأرض إلا هو . لأنه مثل أعلى يقوم على كلمتين من كلمات الله رب الناس جميعاً ، وجاعلهم صنوفاً ، وأنواعاً وأجناساً ، وألواناً كما يصنف البستانى أزهار البستان ... : على كلمة ناطقة تدور بها الألسنة وتستوحى منها الأفكار ، وهى القرآن ! وعلى كلمة صامتة مستخفية فيها أسرارها وأوتارها وأشواقها وأوطارها وهى القلب العربى !

وفى الكلمة الأولى اعتمد الله على بلاغة هذه الأمة وفصاحتها وصراحتها فى الكشف عن كل مخبوء فى الضمير وفى الشعور وفى الفكر وتسجيله بلغة موسيقية موجزة مبينة ، وإلقائه على الأسماع والأفهام آيات منزلة من حول العرش ...

وفيها يضع الله كل شىء فى الطبيعة فى موضعه أمام الفكر البشرى « إنا كل شىء خلقناه بقدر » « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » فلا يجوز الاعتراض والثورة على نظام الكون ومحاولة تبديله « لا تبديل لخلق الله »

وفيها ينظر الله إلى أمم الأرض كأمة واحدة « يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفيها يحطم الله الأصنام الحجرية والبشرية ويسحق « العجل الذهبى » وعبّاده ، ويكسر كل قيد يقيد النفس بالمادة ويجعلها تخلد إلى الأرض وتتخذ الأهواء آلهة وتشبع الشهوات السفلى وتعيش فى الأرض فى غفلة عن الجمال الأعلى ؛ فيخرج الإنسان بعد هذا كله طليقاً حراً قديس الروح نظيف الجسد متجرداً من كل شىء لله الذى أعطاه كل شىء ...

وفيها يعقد الله بينه وبين الإنسان صلة مبنية على منطق الفكر ومنطق الوجدان ، فما يقدره الله فى الطبيعة ويحترمه يقدره الإنسان ويحترمه ، وما يبغضه الله ويمتهنه يبغضه العقل الإنسانى ويزدريه ؛ فالعقل البشرى صورة مصغرة من العقل الأعلى الذى يدير الكون ويحرسه ويمسكه أن يزول . ألم يقل : « ونفختُ فيه من روحى » « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفةً » ؟

وبدهى بعد ذلك أن يصدر العربى من بين يدى القرآن الذى يضعه فى الحياة هذا الموضع الأكرم الأعلى ، وهو معتقد أنه قوة من قوى الله مستخلفة لحراسة الأرض وحراسة النفس والإنسانية من فتن الحياة وقوى الشر ونوازع الإثم ، وأن ينظر إلى الناس كما ينظر إليهم الله نظرة رحمة وغيرة على مصالحهم وسعى حثيث لها ، لا كما ينظر الملحدون إلى أنفسهم وإلى الناس نظرة ضياع وحيرة بين القوى العمياء ، ولا يعتقدون أن القوة المتسلطة على الكون تأبه لهم أو تقيم لهم وزناً ، فهم كذلك لا يقيمون لقوانينها فى الطبيعة وزناً ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كما تدخل وتخرج السباع إن كانوا أقوياء ، أو كما تحيا وتموت الخراف البلهاء إن كانوا ضعفاء

وبدهى كذلك أن تكون هذه الصداقة المعقودة بين العربى ورب الطبيعة مبعث اعتزاز وقوة واعتصام بقوة الذى بنى السماء والأرض ، يتحول بها إلى قوة متدججة فى قوى الكون التى فى يد الله . وينظر بها إلى ما فى السماء والأرض وكأنه ينظر إلى أشياء موضوعة مهيأة له فى دار أبيه ...

* * *

أما القلب العربى ، وهو الكلمة الصامتة ، ففيه حيثما كان ورائات مدخرة من بساطة الحياة فى الصحراء واتساعها وعزلة الفكر فيها عن المؤثرات الصناعية ، وإشراق النجوم عليها ، واحتكاك الفكر فيها بالسماء دائماً ، وانطلاق النفس من غير سدود وقيود ، واعتداد الإنسان فيها بنفسه ، واعتماده على قواه الذاتية ، وسبح الخيال وراء المجهولات والغيوب ، وتجرد الحياة فيها من الزينة الصناعية والتكليفات الوضعية التى لا تطلق النفس لدواعى الفطرة بل تجعل عليها ركاماً من قيود التقاليد

يضاف إلى هذه الورائات الاستعداد الدائم لبذل الدم والمال فى سبيل الشرف وحسن الأحدوثة ، وعدم الارتباط بالأرض إلى درجة التضحية بالحرية والخضوع لسلطة مذلة واستبداد مُهْدر لكرامات الإنسان وحرمات الحياة . . .

وهذه صفات ترشح قومها لحمل دعوة كالدعوة الإسلامية التى تطلب الدم والمال للوصاية على كل حق فى الحياة . ولن تستطيع نفس مترفة معقدة الفكر بتعقد الحياة التى نشأت فيها ، معقدة النفس بتعقد التربية السياسية ذات الأوضاع والقوانين الكثيرة ، محبة للحياة حريصة عليها لما فيها من الترف والنعمة ، بعيدة عن الطبيعة لأنها عاشت سجينة بين الجدران أو مكبة

على عبادة الزراعة والصناعة ، مثقلة بالأموال والخيرات الكثيرة فليس لها فراغ للفكر فى الكون وربه . . . لن تستطيع هذه النفس أن تحمل ما تحمل النفس العربية من رسالة البساطة والمساواة والرجوع إلى قوانين الطبيعة والنظر إلى أوليات الحياة ومبادئها والتجرد من التعقيد وركام التقاليد

ومن أجل ذلك لم يصطف الله أمة من الأمم المتحضرة كالرومان والفرس لحمل رسالة الإسلام مع أنهما كانتا على علم كثير وحضارة عظيمة ، بل اصطفى العرب لتلك الرسالة ، رسالة الفطرة والبساطة ، لأنهم أقرب الناس فى حياتهم من مبادئ الحياة العامة التى تجعل الإنسان شيئاً من الطبيعة غير منفصل ولا معزول عنها بجو صناعى ، ولأنهم يكونون وهم الغالبون أسرع من المغلوبين إلى ما يحقق العدالة والمساواة ، إذ لا يشعرون بفرق كبير بين حياتهم فى الحكم وأبهته ، وبين حياتهم على قدم المساواة مع أقل الناس تكاليف

واعتقادى أن الرجل الأوربى أو « الرجل الأبيض » على العموم لا يمكن أن ينهض برسالة المساواة بين الناس ، لأنه يجد فى شكله جمالاً وفى قده اعتدالاً وفى عقله تركيباً ، وفى حياته على العموم زيادات لا يجدها عند سواه . . . بل إن بعض أنواع الرجل الأبيض — وهم الجرمان — قد بدأوا فلسفة جديدة فى الفروق الجنسية لا يمكن مطلقاً أن تقوم معها عدالة أو مساواة حتى بين أنواع الرجل الأبيض نفسه . . .

وقد يكون للبيض بعض العذر من ملاحظة الفروق الظاهرة بين بيئاتهم وبيئات الأجناس الملونة ، فلا يجدون أنفسهم تطاوعهم على تناسيها ، والنزول بين غيرهم من بنى البشر على قدم المساواة ، لأنهم أولاً معزولون من قديم الزمان عن الاتصال بالأجناس الملونة التى تسكن فى وسط الأرض وحوله ، فلا يعلمون جوهر نفوسهم ولأنهم ثانياً يعتدون بشكليات الحياة اعتداداً كبيراً ، ولذلك ملأوا حياتهم بها ؛ فلا يمكن مطلقاً أن يتفقوا الفرق بين الجلدة البيضاء والجلدة الصفراء والسوداء والحمراء . . . وإنهم ليفرقون الفروق بين الإنسان والكلب ، فيحتضنون الكلاب ويقبلونها ويبكون رحمة لها ويعاملونها بالحسنى ، ولكنهم يأنفون من رؤية الرجل الملوّن ويهينونه ولا يرحمونه ولا يجتهدون فى رفع حياته وإنقاذه من وثنياته وخرافاته . مع أنهم فتحوا دياره بالقوة منذ أكثر من قرن ، وعندهم من وسائل إخضاعه للتعليم والتهذيب بالإحسان والقوة الشىء الكثير . . . ولكنهم مشغولون فقط بالبحث عن الذهب الأصفر والذهب الأسود . . . !

والذين شاهدوا الشريط السينمائى الذى عرض فى بعض دور السينما بالقاهرة منذ قريب عن حياة « لفنجستون » الكاشف الإنجليزى المشهور ، يدركون تماماً ما يرمى إليه واضع هذا الفلم ومخرجه من نقد ، لإهمال التبعات الملقاة على عاتق الرجل الأبيض فى تحضير هذه البقايا من الإنسانية الباقية على وثنياتها وخرافاتها وانقطاعها عن حياة العلم والدين .

دع عنك المؤثرات الطبيعية والصناعية التى جعلت الرجل الأبيض يهمل فى واجباته نحو إخوانه من بنى البشر هذا الإهمال وتعال معى ننظر إلى نعم الله على القومية العربية حيث وضعها هذا الوضع الوسط العجيب بين أجناس الناس وبقاع الأرض . . .

إن وضعها هكذا من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى وسطاً بين أمم الشرق والغرب والشمال والجنوب لتلتقى عندها الألوان والأجناس والدماء والأجواء والثقافات والحضارات والطباع والأمزجة ، فتأخذ قلوبها من جميع القلوب ، وعقولها من جميع العقول ، وأجسامها وألوانها من جميع الأجناس والألوان ، ثم يمتزج كل أولئك ويصهر فى طبيعتها المعتدلة ويخرج للناس بعد هذا ثقافة نفسية وسياسية يلتقى عليها الشرق والغرب لقاء يحطم القيود ويجتاز الحدود . لأن فيها من كل جنس رفداً ، ومن كل عقل مدداً ، ومن كل قطر وِرداً . . .

فإذا خاطب الله برسالته الأخيرة وكلمته الخاتمة هذه الأمة التى فى مركز الأرض فإنما يخاطب البشرية جمعاء متمثلة فى هذا الجنس

وإذا خاطب العربى المتحضر أمم الشمال والغرب المتحضرة ، أخذوا عنه خطابه وعقلوه لأن فيه مسحة من بياضهم وثقافتهم ، ولأنه أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

وإذا خاطب العربى المتبدى أمم الجنوب والشرق ، أخذوا عنه وعقلوا منه ، لأن فيه بساطتهم ومعارفهم ، ولأنه من أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

وتلك نعمة عظمى حتم على العرب أن يتفطنوا لها ويبنوا جهادهم ورسالتهم عليها ويدركوا امتنان الله عليهم بها فى قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس »

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

نشر الثقـــافة
وكيف يكون
للأســـتاذ محمود العمرى

نشرت الصحف فى المدة الأخيرة أن وزارة المعارف قررت تكليف بعض المؤلفين وضع كتب فى سير أبطال الإسلام ، وعهدت إلى بعض المترجمين ترجمة مؤلفات أجنبية إلى اللغة العربية

ولا شك أن عناية وزارة المعارف بنشر الثقافة أمر توجبه عليها مهمتها ، إذ الحقيقة التى لا مفر من الاعتراف بها أنه لا يغنى عن البلاد كثرة حملة الشهادات الدراسية فيها ، وليس مما يشرفها أن يقال فى التدليل على انتشار التعليم إن الناجحين فى امتحان شهادة كذا بلغ عددهم كذا ألفاً . ولكن الذى يدل دلالة حقيقية على انتشار التعليم أن يقال إن أحد المؤلفات قد بيع منه كذا ألفاً . فهذا وحده هو القياس الصحيح الدال على أن التعليم انتشر انتشاراً حقيقياً كان له أثره فى أمرين لا غنى عنهما فى كيان أمة ، أولهما انتشار الثقافة وسريانها سرياناً طبيعياً اختيارياً تتكيف به حياتها الفكرية ، وثانيهما عيالة طبقة من المؤلفين

أما أن تقتصر الحياة العلمية على البرامج الدراسية وتحصيل الشهادات فحالة سطحية مصطنعة . وقد شعر المفكرون منذ مدة بعدم كفاية هذه الشهادات فى تكوين الحياة الفكرية ، بل لقد نزل مستوى التعليم لدى حاملها ، وفطنت الأمة إلى ذلك بعد أن قطعت شوطاً بعيداً فى الإكثار منهم . كما تبين أن من أكبر أسباب ضعف التعليم المدرسى عدم وجود المؤلفين والباحثين الذين يتغذى التعليم بمؤلفاتهم وبحوثهم ، وتقوم الحركة العلمية على جهودهم قياماً مستقلاً يرفعها إلى حيث تعد البرامج بعناصرها وتنشىء المثل الفكرية العليا نشأة قائمة بذاتها مما يجعلها أساساً للتعليم والتطبيق بدلاً من أن تكون مقصورة عليهما

ولا شك أيضاً أن مساهمة وزارة المعارف فى زيادة الثروة الفكرية على النحو الذى انتحته لا تخلو من فائدة ، ولا سيما إذا أحسنت الاختيار وتوخت ملء فراغ ، كما فعلت فى سير أبطال الإسلام ، وفى ترجمة كتاب هانوتو فى تاريخ الأمة المصرية

إن أولى الكتب بالنقل إلى العربية وأحقها بالجهود المحدودة التى فى طاقتنا فى الوقت الحاضر الكتب التى لا تفقد شيئاً من معانيها إذا هى ترجمت إلى لغتنا ، والتى تتسق مع حياتنا الفكرية فى المرحلة التى نجتازها الآن . أما مؤلفات شكسبير وأضرابه من أعلام الأدب الغربى الذين ترجمت وزارة المعارف كتبهم فى عهود مضت وتزمع الآن ترجمتها ، فإن كثيراً منها يعد نقلها إلى العربية من الكماليات

يعرف الملمون بالأدب الغربى أن اختيار المؤلفات التى تفيد ترجمتها أمر فى غاية الدقة ، إذ أن كثيراً منها ترجع قيمته إلى اللغة الأصلية وإلى الفنون الأدبية والأوضاع الاجتماعية المحلية ، فهى حافلة بإشارات لها مدلولها فى ذهن قارئها فى بلادها أو على الأكثر فى البلاد القريبة الشبه بها فى البيئة . ولسنا نأتى بجديد إذا قلنا إن الناحية الفنية فى الأدب الغربى تتأثر كثيراً بالنقل إلى العربية لبعد الشبه بينها وبين اللغة الأصلية . بل إن المعانى الأدبية العميقة فى الأدب الأوربى العويص كثيراً ما تخفى على غير المتعمقين فيه من المبتدئين فى الاطلاع ، معتمدين على مجرد فهم المعنى اللفظى دون أن يغوصوا إلى ما وراء اللفظ وما بين السطور

فخير لوزارة المعارف أن تختص بعنايتها بالنقل إلى العربية الكتب التى تستساغ لدى قراء العربية دون غيرها من اللغات ، فتنسجم ضمن غذائهم العقلى ولا تفقد معانيها شيئاً بالترجمة لأنها تتناول مادة عامة وعلى الأخص الكتب التى تتناول مادة أصلها عربى ككتاب هانوتو ، فإن معانيها تزداد فى العربية وضوحاً

والكتب التى من هذا القبيل كثيرة فى اللغات الأوربية ، من أهمها كتب المستشرقين فى تاريخ العرب والإسلام ، وقد سبق أن عرض كاتب هذه السطور مقترحاً بترجمتها أيام وزارة المرحوم زكى باشا أبو السعود ، كما تكلم فى هذا الشأن مع المرحوم الشيخ شاويش

ولا جدال فى أن ترجمة المؤلفات المذكورة تعد من قبيل رد مادة إلى أصلها العربى فتزداد بالترجمة وضوحاً كما أنها تدخل مع ثقافتنا فى نسق واحد مستساغ

على أن أهم ما أقصده من كتابة هذه الكلمة أن أتناول الرأى الأساسى فى نشر الثقافة عن طريق تكليف بعض المؤلفين أو المترجمين وضع كتب أو ترجمتها

هذا الرأى على عدم خلوه من فائدة كما قدمت لا يؤتى فى النهاية إلا ثمرة محدودة الفائدة ، وليس فيه دواء حاسم للمشكلة الأصلية وهى فقر الثقافة وعدم انتشارها

لا شك أن أفاضل المؤلفين والمترجمين الذين كلفتهم الوزارة القيام بذلك العمل سيبذلون جهداً مشكوراً وستظهر لهم كتب قيمة ، إلا أن الداء الأساسى سيظل كما هو

قامت الوزارة منذ مدة بعمل آخر فى تشجيع الثقافة فجرت على عادة شراء مقادير من المؤلفات التى تصدر من وقت إلى آخر تعضيداً للمؤلفين وتعويضاً لهم عن قلة ما يباع من كتبهم . ولا ريب أن هذا التشجيع بشراء الكتب ولو لوضعها فى مخازن الوزارة كان فيه بعض الفائدة فى ذاته ، إلا أنه كان من قبيل دخول الحكومة فى سوق القطن بالشراء إنقاذاً لقيمة المحصول من أن يباع بقيمة دون قيمته ، وضنا بثمرة جهود المنتجين أن تضيع هباء، وتشجيعاً لهم على المضى فى الإنتاج

غير أن الناس لم يلبثوا أن فطنوا إلى ما نبه إليه المستر طود الاقتصادى المختص بشئون القطن وهو أن هذا العلاج محدود الأثر ؛ فإن القطن الذى تشتريه الحكومة اليوم لا بد أن تبيعه غداً، وعندئذ يزيد المعروض فيهبط السعر. وإن شراء الحكومة ليس شراء بمعنى الكلمة لأنها ليست مستهلكة له فى واقع الأمر، وإنما الشراء الحقيقى من الوجهة الاقتصادية شراء المصانع التى تستهلكه فى الصناعة وتستبعده نهائياً من عداد المادة الخام وتقوم بتصريفه فى شكل جديد

يحضرنى عند التفكير فى حل هذه المشكلة حلاً طبيعياً أساسياً ذكر ما توصلت إليه دول أوربا للنهوض بالزراعة ووضعها على أساس علمى

بذلت تلك الدول فى أول الأمر جهوداً عظيمة من الناحية المباشرة فذهب عناؤها هباء . ثم أتتها فترة تهيأت فيها ظروف ساعدتها على رفع أسعار المحاصيل الزراعية بسبب اتساع الأسواق العالمية وسهولة النقل، فما هى إلا أن أصبحت الزراعة مهنة رابحة، وسرعان ما انشحذت الملكات وانطلقت نحو الزراعة بأقصى ما أوتيت من قوة فازدهرت الفنون الزراعية من الناحيتين العلمية والعملية . وهكذا عولجت المشكلة من صميم أسبابها .

* * *

عانت فرنسا فى السنين الأخيرة أزمة نسبية هى ضعف انتشار المؤلفات الفرنسية ، وذلك لأسباب منها انتشار الراديو والسينما والألعاب الرياضية ، فخشى مفكروها ضعف ثقافتها وهى سند مدنيتها ، وخافوا أن يهبط بذلك نفوذ بلادهم الأدبى فى العالم كما خافوا أن ينحط الإنتاج الفكرى عندهم لقلة ما يباع من مؤلفاتهم عن القدر الكافى لعيالة طبقة مؤلفيهم وشحذ هممهم

أجمع هؤلاء المفكرون أمرهم وأنشأوا جماعة برياسة جورج دوهاميل الكاتب المشهور واستعانوا بوزير معارفهم جان زاى وهو الوزير الذى رآه المصريون عند ما جاء منذ عامين لافتتاح معرض الفن الفرنسى الذى كان للكتب الفرنسية فيه حظ كبير؛ وقد تمت إجراءات مهمة بتعاون الوزير المذكور مع تلك الجماعة .

لا شك أن تصريف الكتب فى مصر قليل جداً لأسباب تختلف عن أسبابه فى فرنسا ، وأن ما يباع عندنا من الكتب لا يكفى لسد حاجة البلاد إلى طبقة من المؤلفين المحترفين الذين يستطيعون أن يعيشوا من ثمرة أقلامهم . فعبثاً نحاول أن نخرج البلاد ما فيها من الملكات إلا بإيجاد الحافز .

قال أحد الأدباء فى عصر شبيه بعصرنا : « كان الناس فى الزمن الغابر يسألون: ما صناعة هذا الرجل ؟ فيقال : هو أديب. والآن إذا عرفوا أديبه يسألون : ما صناعة هذا الأديب ؟ ! »

هذه حال لا يصح السكوت عليها، ولا سيما أن لنا مزية انتشار لغتنا فى خارج حدودنا انتشاراً من شأنه أن يجعل لمؤلفينا من القراء فى غير بلادنا ما يزيد على عددهم فى مصر أضعافاً مضاعفة .

لا أريد فى هذه الكلمة أن أتكلم عن أسباب قلة الميل إلى القراءة ، ولكننى لا أشك فى أن الكتب ، حتى على أساس هذا الميل القليل غير منتشرة ، وأن عدم انتشارها أمر غير طبيعى ؛ ومن الأدلة على ذلك كثرة انتشار الصحف والروايات الخفيفة انتشاراً يدل على أن عدم الإقبال على القراءة قد بلغ هذا المبلغ المشاهد فى الكتب .

صحيح أن الجمهور أميل إلى القراءة الخفيفة السطحية ، غير أن هذا السبب لا يكفى لتعليل البون الشاسع بين انتشار الصحف وانتشار الكتب . إنما العلة الكبرى أن للصحف والروايات الخفيفة أصحاباً يتعهدون نشرها على أساس تجارى وإدارى محكم . أما

الكتاب فى مصر فيتيم ليس له من يتولى أمره ، إذ أن كل مؤلف على حدته لا يستطيع شيئاً ، والحركة التجارية غافلة عنه ، وذلك لسببين : أولهما أن التجارة فى مصر رابحة لسبب نأسف له وهو نشاط الأجانب ، وهؤلاء لا يقبلون على الكتب العربية إقبالهم على النواحى الأخرى . والثانى أن تجارنا تعوزهم ملكة الابتكار ، فتجارة الكتب تختلف عن غيرها فى أن الطلب فى أمرها يتبع العرض إلى حد بعيد ، مع أن العرض فى أمر غيرها يتبع الطلب بدرجة عظيمة . وهـذا ملموس فى كل بلاد وفى كل جهة حتى ليخيل للانسان أنه لا يوجد ميل إلى الاطلاع إلا بين الذين اعتادوا المرور فى حى معين فيه مكتبة يستوقف ما فى واجهتها من الكتب نظر المارة ، بل قد يدخل أحدهم بغير قصد شراء كتاب بذاته فيخرج وإذا بيده كتب

يعرف المؤلفون فى مصر أن كتبهم لا تباع إلا حيث توجد المكتبات فى مدينة واحدة وهى القاهرة ، فيخيل إليهم أن الميل إلى القراءة غير موزع بين سكان القطر وأنه مقصور على حى معين . ثم ما هى إلا أن يتطوع صديق فى جهة نائية فيبيع له عدداً كبيراً

لا ريب أن تشجيع نشر الكتب أمر حيوى وفيه شفاء للعلة الأصلية من أساسها بشكل يؤدى حتى فى ظروفنا الحالية إلى انتشار الثقافة فتربح التجارة ، وتنشط المطابع ، وتقوم فى البلاد طبقة من قادة الفكر على أساس الدافع الطبيعى الذى لا يقتصر على ما لا بد منه للمؤلفين من الاستقلال المادى والأدبى . بل إن فى انتشار مؤلفات أحدهم ما يقوم فى نفسه دليلاً على أنه أدى رسالته ، كما أن فى الإقبال على كتبه انتخاباً من القراء له وعملاً فيه الكثير من الصدق فى التعبير عن أنهم أولوه زعامة طبيعية نابتة من الحركة الفكرية فى ذاتها

ولست أريد أن أرسم خطة معينة تتبعها وزارة المعارف فى تنفيذ برنامج عملى لنشر الثقافة عن طريق الكتب ، ولكننى أورد على سبيل المثال ما يمن لى من الوسائل :

١ — أن تتفق الوزارة مع مراقبات مناطق التعليم ومجالس المديريات على أن تقصر معاملاتها بقدر الإمكان على المكتبات الواقعة فى الجهات نفسها

٢ — أن تتفق مع مصلحة البريد على إعطاء الأفضلية فى بيع طوابع البريد وطوابع التمغة للمكتبات دون الصيدليات ومحلات العطارة وحوانيت التبغ

٣ — أن تحفظ لديها سجلاً بالمكتبات فى كافة جهات القطر ليرجع إليها الناشرون وأصحاب المطابع والمؤلفون للتعامل معهم ، وأن تقوم مراقبات مناطق التعليم بالاستيثاق من أن هذه المكتبات مكتبات حقيقية

٤ — أن تذيع بالراديو أسماء الكتب وخلاصات مشوقة موجزة عن محتوياتها

٥ — أن تتفق مع وزارة الشؤون الاجتماعية على أن تدمج فى المراكز الاجتماعية التى تزمع إنشاءها برامج ثقافية

٦ — أن تشجع على إنشاء هيئة مركزية فى القاهرة تجمع لديها فهارس ما يصدر من الكتب وتوزعها على جميع المكتبات فى القطر ، ويشترك أصحاب المكتبات فى هذه الهيئة بضمان أو تأمين لكل منهم بمائتى جنيه مثلاً يجعل لكل منهم حق أخذ كتب بقيمتها حسب اختياره عن طريق الهيئة ، وكلما سدد ثمن ما أخذه فتح له اعتماد بدلاً منه بقيمة ما يسدد ، حتى إذا كان نشطا فى البيع دار معه مبلغ الضمان خمس مرات أو عشراً ، فيكون قد اتجر فى رأس مال قدره ألف أو ألفا جنيه دون أن يدفع شيئاً ، اللهم إلا ضماناً قدره مائتا جنيه . وهـذه الطريقة تتبعها شركة من شركات المنسوجات الأجنبية فى مصر

ولا بد لى أن أختم هذه الكلمة بتكرار ما قلت فيما سبق ، وهو أننى لم أتعرض لمعالجة موضوع عدم الميل إلى القراءة ، إذ أن هذا أمر يتصل بمشكلة التعليم وبالرأى السائد فى البلاد وفى الحكومة عن غايته وأقيسته

محمود العزبى

ادارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر ٢١ أبريل سنة ١٩٤٠ عن رصف بعض شوارع بندر المحمودية وتطلب الشروط من الادارة نظير ٥٠٠ مليم .

٦٥٥٣

في اجتماع المنتدى

تفرع اللغـــة الواحدة إلى لهجات ولغـــات

وأثر انتشارها في هذا التفرع

للدكتور علي عبـــد الواحد وافي

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً فمنها ما تتاح له فرص مواتية ، فينتشر في مناطق شاسعة من الأرض ، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ؛ كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ؛ وللانجليزية ، والأسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والألمانية في العصور الحديثة . ومنها ما تسد أمامه المسالك ، فيقضي عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض ، وفئة قليلة من الناس ؛ كما حدث للأينو[1] والبسكية[2] والليتونية[3] ، ومنها ما يكون حاله وسطاً بين هذا وذاك ، فلا تتسع مناطقه كل السعة ، ولا تضيق كل الضيق ؛ كما هو شأن الحبشية والفارسية

هذا ، ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن تشتبك اللغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى وتقضي نواميس الصراع اللغوي المتقدم ذكرها في المقالات السابقة[4] أن يكتب لها النصر ، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة ، فيتسع بذلك مدى انتشارها ، وتدخل أمم جديدة في عداد الناطقين بها : كما حدث للاتينية في العصور القديمة ، إذ تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) والأقاليم الوسطى والإليريا Illyrie ، فأصبحت لغة الحديث والكتابة في منطقة شاسعة في القسم الجنوبي الغربي من أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على منطقة ضيقة في وسط إيطاليا ، هي منطقة اللاتيوم Latium ؛ وكما حدث للغة العربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية ، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو ٤٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة بعد أن كانوا قديماً لا يتجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب ؛ وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى (بألمانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا ... الخ) . وقضت على لهجاتها الأولى ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٧٠ مليوناً من سكان أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على بعض المقاطعات الألمانية

٢ — أن ينتشر أفراد شعب ما — على أثر هجرة أو استعمار — في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى ، ويتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمة أو أمم متميزة كثيرة السكان ، فيتسع بذلك مدى اتساع لغتهم ، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ، ويكثر أفرادها . والأمثلة على ذلك كثيرة في العصور الحديثة . فقد نجم عن استعمار الإنجليز السكسون لأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقية أن انتشرت الإنجليزية في هذه المناطق الشاسعة ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ١٧٠ مليوناً موزعين على مختلف قارات الأرض ، بعد أن كانت قديماً محصورة في منطقة ضيقة من الجزر البريطانية . ونجم عن الاستعمار الأسباني في الدنيا الجديدة أن أصبحت الأسبانية لغة المكسيك وجزر الفيليبين وجميع دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٧٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة ، بعد أن كانت محصورة في منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من أوربا . ونجم عن الاستعمار البرتغالي في الدنيا الجديدة وأفريقيا والأوقيانوسية أن أصبحت البرتغالية

---

(١) يتكلم بلغة الأينو Ainou نحو عشرين ألفا من سكان جزر هوكادو Hokkado وساكهالين Sakhaine وشيكوتو Shikotau ، وكلها تابعة لليابان — ولم تثبت صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى ، ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٢) يتكلم بالبسكية Basque الآن نحو ٨٠٠٫٠٠٠ من الباسكيين الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في العدوتين الأسبانية والفرنسية . ولم تثبت بعد بصورة قاطعة صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى . ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٣) يتكلم بها سكان ليتونيا Lettonie الذين يبلغ عددهم الآن ١٫٨٤٨٫٨٠٠ وهي من شعبة اللغات البلطيقية من الفصيلة الهندية الأوروبية

(٤) أنظر أعداد الرسالة ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

لغة سكان البرازيل بأمريكا الجنوبية وسكان المستعمرات البرتغالية بأفريقيا وجزر المحيط الهندى ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٥٠ مليوناً ينتمون إلى عدة أمم ، بعد أن كانت محصورة فى منطقة ضيقة فى بلاد البرتغال نفسها

٣ — أن يتاح لجماعة ما أسـباب مواتية للنمو الطبيعى فى أوطانها الأصلية نفسها فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها فى الزيادة المطردة ، وتنشط حركة العمران فى بلادها ، فتكثر فيها المدن والقرى وتتعدد الأقاليم والمناطق ، فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها ، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية . فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية فى اليابان نفسها نحو ٦٠ مليوناً ، وبفضله كذلك مع مساعدة العاملين السابقين بلغ عدد الناطقين بالفرنسية نحو ٥٠ مليوناً [1] وبالايطالية نحو ٤٥ مليوناً [2] .

* * *

ومتى انتشرت اللغة فى مناطق شاسعة من الأرض تحت تأثير عامل من العوامل السابق ذكرها ، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد ، وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، فلا تلبث مسافة الخلف أن تتسع بينها وبين أخواتها ، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها ، وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها بعضها عن بعض فى كثير من الوجوه ، ولـكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة ، ولحمة نسب لغوى . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول لغـة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه ؛ ولـكنه لا يلبث أن يتنحى عن ذلك بعد أن يكتمل نمو هذه اللغات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر فاللغة الهندية — الأوربية الأولى ، قد انشعبت فى نحو الإنسانية إلى مجموعات كثيرة ، وكل مجموعة منها تفرعت إلى عدة طوائف ، وكل طائفة انقسمت إلى شعب ، وكل شعبة إلى لغات وهكذا دواليك ... ومثل هذا حدث للغة السامية الحامية الأولى ولجميع الفصائل اللغوية الأخرى .

وقد شهدت عصورنا التاريخية نفسها كثيراً من آثار هذا القانون ، فاللغة اللاتينية ، وهى إحدى لغات الفرع الإيطالى المنشعب من الهندية — الأوربية ، قد أخذت هى نفسها فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها ، حتى انفصلت عنها انفصالاً تاماً ، وأصبحت لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها . وقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا ...) ولـكنها لم تلبث أن تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيراً من آثار هذا القانون . فلانتشار اللغة الأسبانية فى مناطق شاسعة من الأرض ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، أخذت تفقد وحدتها ، فانشعب عنها فى أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة تختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافاً غير يسير فى كلماتها وأصواتها ؛ بل إن بعض هذه اللهجات أخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية فى القواعد نفسها [1]

وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية والألمانية . فقد أخذت انجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية فى كثير من المفردات وأساليب النطق ؛ وأخذت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية ، حتى توشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الألمـان وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المنشعبة عن العربية حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض ؛ فلهجة العراق فى العصر الحاضر مثلاً لا يكاد يفهمها المصرى غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

* * *

(١) منهم بفرنسا نفسها نحو ٤١ مليونا والباقى ببلجيكا وسويسرا وكندا والمستعمرات الفرنسية .

(٢) معظمهم بايطاليا نفسها والباقى فى سويسرا والمستعمرات الايطالية

(١) وقد ألف بعض العلماء كتبا مستقلة فى بعض هـذه اللهجات ، كـكتاب الأستاذ لنز Lenz فى قواعد لهجة شيلى

والعامل الرئيسى فى تفرع اللغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها . غير أن هذا العامل لا يؤدى إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدى إلى هذه النتيجة . وباستقراء هذه العوامل فى الماضى والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى الطوائف الآتية :

١ — عوامل اجتماعية سياسية تتعلق باستقلال المناطق التى انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . وذلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها ، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها ... كل ذلك يؤدى غالباً إلى ضعف سلطانها المركزى ، وتفككها من الناحية السياسية ، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض . وغنى عن البيان أن انقسام الوحدة السياسية يؤدى إلى انقسام الوحدة الفكرية واللغوية

٢ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان . فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صداه فى أداة التعبير

٣ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها . . . وما إلى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا . — فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى ، عاجلاً أو آجلاً ، إلى فروق وفواصل فى اللغات

٤ — عوامل شعبية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها ، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثاراً بليغة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٥ — عوامل جسمية فيزيولوجية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى التكوين الطبيعى لأعضاء النطق[1]

(١) ترجع هذه الفروق إلى عوامل كثيرة منها العاملان الجغرافى والشعبى المشار إليهما آنفا تحت رقمى ٣ ، ٤

فمن المحال ، مع فروق كهذه ، أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمداً طويلاً

* * *

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة ، تحت تأثير هذه العوامل ، إلى جماعات متميزة ، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض فى شئونها السياسية والاجتماعية ، وفى خواصها الشعبية والجسمية والنفسية ، وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية ، كل ذلك وما إليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها ، ويرسم لتطورها فى النواحى الصوتية والدلالية وغيرها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها ، فتتعدد مناهج التطور اللغوى حسب تعدد الجماعات ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد ، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها

* * *

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين : إحداهما الناحية المتعلقة بالصوت ، فتختلف الأصوات (الحروف[1]) التى تتألف منها الكلمة الواحدة ، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات ؛ والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات ، فتختلف معانى بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها

أما القواعد La Grammaire ، سواء فى ذلك ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجيا) أو ما يتعلق منها بالتنظيم (السنتكس) ، فلا ينالها فى المبدأ كثير من التغيير . وإليك مثلاً اللهجات العامية التى انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ... فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة فى نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف والنسب والتصغير ... وما إلى ذلك ؛ على حين أن مسافة الخلف بينها فى الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعل بعضها غريباً عن بعض ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك

ولكن هذه الوحدة فى القواعد لا تقوى على مقاومة عوامل التفرقه إلا لأجل معلوم ؛ ثم تهن قواها وتستسلم لهذه العوامل ،

(١) الحرف هو ما يرمز إلى الصوت فى الكتابة . فالتعبير هنا بالأصوات أدق من التعبير بالحروف

فيصيبها منها ما أصاب الصوت والدلالة من قبل ، وحينئذ تقوى وجوه الخلاف بين اللهجات ، وتبدأ مرحلة تحولها إلى لغات مستقلة ، ولا تنفك تذهب حثيثاً فى هذا الطريق حتى تبلغ غايته

غير أنه يبقى بها ، على الرغم من هذا كله ، وجوه شبه قريبة أو بعيدة فى أصول المفردات وبعض مظاهر القواعد العامة . وإليك مثلاً طوائف اللغات الهندية الأوربية ، فعلى الرغم من استحكام ما بينها من حلقات الخلاف ، فإن الأصل الأول قد ترك فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة وتشهد بتفرعها عن أرومة واحدة

ومن هذا يتبين أن اللغة لا تموت حتف أنفها . فما لم تصرعها لغة أخرى على الوجوه التى تقدم شرحها فى المقالات السابقة ، لا يتطرق إليها الفناء . وخلودها هذا يبدو فى أحد مظهرين . فأحياناً تحتفظ بوحدتها ، وذلك إذا ظلت حبيسة على منطقة ضيقة وفئة قليلة ، وأحياناً تنشعب إلى لهجات ولغات ، وذلك إذا انتشرت فى مساحات شاسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس

ومن ثم يظهر كذلك خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بإنشاء لغة عالمية (إسبرنتو Espéranto) يتحدث بها الناس من مختلف الأمم والعصور . وذلك أن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها وإلزام الناس باستخدامها [1] ، لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التى تخضع لها اللغات الطبيعية والتى خضعت لها أول لغة تكلم بها الإنسان . فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين فى أصولهم الشعبية وفى التكوين الطبيعى لجسومهم وأعضاء نطقهم ، وفى الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم ، وفى قواهم الإدراكية والوجدانية ، وما دامت سنة الطبيعة تقتضى أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق له فى كل هذه الأمور ، فلا بد أن تختلف هذه اللغة الصناعية فى كلماتها وأصواتها ودلالاتها وقواعدها باختلاف العصور وباختلاف الشعوب الناطقة بها ، وتنقسم إلى لهجات يختلف كل منها عما عداه ، وتتفرع منها لغات عامية ، وتتسع الهوة بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل كل لهجة منها عما عداها انفصالاً تاماً وتصبح غير مفهومة إلا لأهلها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من اللغات ، وهكذا لا يمضى زمن قصير أو طويل حتى يتولد من هذا العلاج نفس المشكلة التى يحاولون القضاء عليها : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ... » . « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين »

(١) هذه الأمنية ، وإن كانت ممكنة نظريا ، يحول دون تحقيقها عمليا صعوبات جمة كما لا يخفى

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

إدارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر ٢٢ أبريل ١٩٤٠ عن عملية رصف شارع الملك فاروق بشربين وتطلب الشروط من الادارة نظير ٥٠٠ مليم .

٦٥٧١

ادارة البلديات — تنظيم

تقبل العطاءات بمجلس منيا القمح المحلى لغاية ظهر ٤٠/٤/٢١ عن توريد شعير وتبن وتطلب الشروط من المجلس نظير مائة مليم .

٦٥٤٩

صـــاحب الديوان

إياك أن تظنه صاحب « ديوان شعر » ، فتلك هذا أهون من أن يحفل به إلا من كانوا مثله من ذوى الأحلام والأوهام فى هذه الدنيا التى باتت لا تحفل بالأحلام ولا بذوى الأحلام ...

ولعلك فطنت بعد هذا إلى من أعنيه بهذا اللقب ؛ ثم لعلك فهمت لِمَ أسميه « صاحب الديوان » ، فما كان لفظ « الموظف » و « المستخدم » وما يجرى مجراهما مما يفى بالغرض فى معرض الحديث عن ذلك الذى توافى له من أسباب الجاه والسلطان ما يسمو به على الناس ، رضوا بذلك أو لم يرضوا ؛ وما أرى نعته بمثل تلك الألقاب المتواضعة إلا ضرباً من الخطأ أسبق بجمع اللغة فى تلافيه ، فأضع له هذا الاسم الجديد ، وبودى لو وقعت له على اسم آخر أكثر فخامة وأضخم جرساً وأبلغ رهبة

ولست أدرى وقد وقع منظارى على أنماط وأشكال من أصحاب الديوان إلى من أدير الحديث منهم أولاً فأجعله فى طليعة أصحابه فإنى لست بمعفيهم جميعاً من حديثى ولو لحقنى بعدها من سطوتهم ما أعض أصبع الندم عليه

أأبدأ بالحديث عن ذلك الشاب الماجن المتظرف الذى لا تساوى الدنيا فى نظره شيئاً ؟ أم أبدأ بصاحبه المتزمت المتبرم الذى يحمل الدنيا كلها على رأسه ؟ أم أدعهما إلى ذلك الكهل الذى أخلق برد الشباب على مقعده وهو يلتفت إلى الماضى فى حسرة ويحتمل الحاضر فى ملل وينظر إلى المستقبل فى يأس ، ولا يني عن احتقار من هم دونه والحقد على من خلفوه وراءهم وكانوا وإياه فى صف واحد عند بدء الشوط ؟ أم أبدأ من عل غير متهيب ، فأتحدث عن ذلك الذى يخضع له هؤلاء جميعاً ويتملقه أكثرهم وليس فيهم من لا يكره أن يودع كرسيه فى أقرب فرصة ؟

الحق أنى حائر ، ولا مخرج لى من هذه الحيرة إلا بأن أعرض عليك فى هذه الكلمة صورة لفريق من أصحاب الديوان فى قاعة من قاعاتهم ، على أن أتناول هذا الإجمال بعد بالتفصيل

دخلت تلك القاعة فى شأن من الشئون فوجدت نحو خمسة عشر من هؤلاء ينصتون إلى من يتلو عليهم حديثاً وهم على مكاتبهم يرنون إليه حتى إذا فرغ من قصته انطلقوا يضحكون فى صخب عظيم ، ثم أخذ كل منهم يسابق الآخر فى التعقيب عليها بما يسمه من نكتة أو قصة مشابهة ، ومضى على ذلك وقت ليس بالقصير ، وأنا واقف فى ركن عند مدخل القاعة لا أدرى من أقصد ولا أجد من يلتفت إلىّ كما لو كنت « صاحب ديوان » مثلهم لا حرج علىّ ولا غرابة فى أن أكون معهم فى حجرتهم

وكان قد مضى على بدء العمل أكثر من ساعة ، ولكن أغلب المكاتب كان لا يزال خالياً من الأوراق ، وبعضها كانت خالية حتى من أصحابها ؛ ونظرت إلى الباب فإذا فريق من الصبية يدخلون وفى أيديهم أصناف « الصينيات » ، فهذا يحمل « الفول » ، وذاك يقبل « بالطعمية » ، وثالث لا يحمل غير القهوة ...

وأخذ أصحاب الديوان فى تناول طعام فطورهم أو فى شرب القهوة ، فلم خلا ثلاثة أو أربعة ، راح أحدهم يقرأ فى جريدة الصباح وراح الآخر ينظر إلى السقف كأنما يفكر فى حل معضلة ، ولعله كان ينتظر أن يفرغ صاحبه من جريدته ليتناولها بعده ، وأخذ الثالث يفتح أدراج مكتبه ويغلقها ولا يخرج منها شيئاً ، أما الرابع فقد تناول بعض « الدوسيهات » وصار ينظر فيها واحداً بعد الآخر ثم فتح أحدها أمامه وأخذ يصفر بشفتيه لحناً جميلاً

وكنت قد جلست على مقعد خال بجانبى ، وليس ما يمنع وإن لم يكن فى يدى عمل أن أكون أحدهم ، ولعلهم ظنوا — إن كان فيهم من عنى بأن يظن — أنى أنتظر أحد المتاثبين بناء على موعد سالف ؛ وكان علىّ فى الواقع أن أنتظر ولكنى كنت أنتظر الحاضرين حتى يفرغوا من طعامهم وشرابهم أو من قراءة صحفهم لأستطيع أن أعرف فيهم من يوجد لديه حل مسألتى

وأزف موعد عملى ، ودخل السعاة بأصابير من الأوراق وأخذوا يوزعونها على أصحابها ، وحال ذلك دون أن أتقدم إلى أحد ، فخرجت على أن أعود مرة أخرى إلى الديوان

« عين »

عقيدة النازى المالية

للدكتور جواد على

سمّيت سياسة الوطنية الاشتراكية المالية وآراءها الاقتصادية (عقيدة) ؛ لأن الهتلرية لا تعتقد بالنظريات العلمية ، ولا تعترف بالقواعد التجارية التى تسير عليها الدول الأخرى ؛ بل تدين بعقائد ثابتة مكتوبة ونصوص تخضع لها ولا تحيد عنها : هى نصوص العنصرية والدم والأرض Blut und Boden .وهى المفتاح لكل حضارة أو مدنية فى العالم ، والتجارة والثروة من نتائج الحضارة البشرية ، والحضارة البشرية Kultur هى المظهر الخارجى للعامل الداخلى الأساسى المختفى : الدماء

لذلك فاقتصاديات شعب مرتبطة بقوته وبسلامة العنصرية من الامتزاج بالدم الأجنبى الدخيل[1]. والروح التى تكون فى كل جسم ، كما أنها فى كل أمة ، هى التى تغيّر اقتصاديات أمة وتكيفها حسبما تريد ؛ لا الإنتاج كما هو مذهب كارل ماركس إذ يقول : « غيروا الإنتاج تغيروا البشر[2] » . ولا المادية كما عليه البلشفية وأصحاب المادة ؛ والروح ليست من قبيل الأحلام أو الأفكار أو الاصطلاحات العلمية أو بالمعنى الذى ورد فى فلسفة أفلاطون ؛ بل هى حقيقة واقعة لا شك فيها ، عاملها الدم لا التفكير البارد فقط[3]

وبما أن لكل شعب روحية خاصة وعقلية تميزه عن عقليات الشعوب الأخرى ، فاقتصاديات كل أمة ونظمها التجارية يجب أن تكون وفق نظمها وقواعدها السياسية والعقائد الاجتماعية والتاريخية وآرائها الثقافية العالية . وعلى ذلك يجب أن نجعل القواعد الاقتصادية وأساليبها خاضعة لمصلحة جماعة الأمة Volks-gemeinschaft والدولة ، لا أن نجعل الاقتصاد خاضعاً لنظريات وقواعد عالية وأصول علمية وضعتها أدمغة العلماء بصورة مجردة نظرية لم تستند إلى قواعد العنصرية والظروف التى تحيط بكل أمة . فهى لذلك تضحك من كل علم يحاول وضع قواعد عامة مسلمة أو آراء أممية يجب السير عليها . وهى تفتخر بأنها ألغت نظريات العلم الشائعة اليوم واتخذت قواعد مكتوبة وفق آرائها وعقيدتها[1] . وهى تحارب فكرة حرية التجارة وإلغاء الرسوم الكمركية ومبادئ « آدم سميث » و « ريكاردو » وجميع الـ Klassikern وهى بالجملة تقارب أصحاب فكرة حماية التجارة Patrioton فى فكرتها، وتحذو حذو مذهب الـ merkantilismus الذى يحاول أن يجعل الدولة المسيطرة على جميع اقتصاديات المملكة ومواردها التجارية[2]

ولكنها تختلف هنا عن الشيوعية والبلشفية فى نظرية إشراك الدولة فى المسائل الاقتصادية رأساً . فالوطنية الاشتراكية تريد كما تدعى حق الإشراف المطلق على سياسة الأمة الاقتصادية فتسيرها وفق مبادئها وآرائها ، فلا تتساهل مع كل متوان أو متجاهل لأنظمة النازى بواسطة القوانين التى تضعها والمحاضرات التى تلقيها على التجار وبواسطة الهيئات التجارية التى تعينها من بين رجال حزبها لا بطريقة الانتخاب وبواسطة هيئة وضع الأسعار التى يشرف عليها قوميسير الأسعار Preiskommisar إلا أنها لا ترى وجوب اشتراك الدولة فى البيع والشراء وإدارة المعامل والإنتاج رأساً ، ولو أنها تتدخل فى الحقيقة فى كل شىء ، ولها فى كل معمل أو محل رجل معين من قبل الحزب يسمى Cebmann بمثابة عين على كل عامل، وذلك ما يخالف مبدأ البلشفية والماركسية الذى يدير المعامل رأساً وكذلك الاقتصاديات الكبرى .

رأت الهتلرية أن خير حل لمشكلة العمل والعمال هو الاعتراف بمبدأ الملكية الشخصية والرأسمال Der Kapital ولكنها ترى أن صاحب المال أو العمل من جهة أخرى هو مدير ماله أو لمعمله أو قائداً يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية

(١) انظر كتاب Probleme des Deutschen Wirt schaftsle-bens, 1937 ص ١٦٠

(٢) انظر Hendrik de man و Der Somialismus als Kultur bewegung ص ٥

(٣) انظر Prombleme des D. W. L. 1937 ص ١٦١ ، ٣٧ ، ١٤

(١) انظر كتاب الوزير Dietrich Klagges و Reichtum und Somiale Gerechtigkeit 1933 ص ٢٤ وكتاب Deutsche Somyalis-ten am werk 1935 ص ١٤

(٢) انظر كتاب Friedrich Bülow و Wolkswirtschaftslehre be Kröner verlag ص ٨٦ وكذلك ص ١٠٠ ، ١٦٠

الشريفة ، فسمته Betriebsführer أى مدير محل ، ولم تسمه مالكاً إذ يتصرف المالك قانوناً كيف يشاء بينما سلب منه هذا الحق هنا . وعلى ذلك فوضع الأسعار والأجور وأوقات العمل وأسعار التصدير إلى الخارج أو البيع فى الداخل لم يعد من حق أصحاب المال بل من حق الحكومة فقط[1] . وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق يخالف مبادئ النازية يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام لأنه خائن للأمة ولص خطير[2] . كما أن كل عامل رجل مؤتمن على العمل فعليه الإطاعة والخضوع لأنظمة العمال التى هى أنظمة الشعب والدولة وإطاعة أوامر من هو أعلى منه درجة، وكل مخالفة تكون عاقبتها العقاب الصارم أو الإعدام أيضاً

تعترف الهتلرية بالألمانية وحب الذات كصفات غريزية فى البشر، لذلك ترى مكافحتها بقاعدة « النفع العام قبل النفع الخاص Gemeinnutm vor Eigennutm » وهذه القاعدة تستدعى وضع تربية سياسية جديدة تكون أسسها مرتكزة على العواطف قبل التفكير وعلى الإطاعة قبل إدراك السبب أو الباعث وهو الطابع الحديث الذى تنطبع به فلسفة الوطنية الاشتراكية . ونظراً إلى ذلك وجب مراقبة الأرباح التى تدعو إلى كل مشكلة[3] وتخليص البشرية من عبودية الربا ، وذلك بجعل أصحاب المال تحت سيطرة سياسة الدولة رأساً لا الدولة تحت سيطرة أصحاب رؤوس الأموال الذين يطلقون عليهم لقب Goldenen Internationale كما هو الشأن فى الدول الديمقراطية والأمريكية ، ولذلك يجعلون هؤلاء مصدر كل حب وبغض إلى الألمان ويتهمون هذه الدول بكونها تخضع للسياسة اليهودية التى تنتمى إلى هذه الطغمة[4]

ولإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على قاعدة « الربح على قدر العمل[1] والقضاء على بيوتات البيع الكبرى والشركات الاحتكارية وتقسيمها إلى محال صغيرة فنحو (١٠٠٠٠٠) اسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى، لأن من طبيعة المحال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحسين[2] ، وبتخليص الفلاح من الديون . والفلاح هو رمز العنصر الشمالى الآرى وكل سياسة اقتصادية لا تستند إلى محصولات الأرض landwirtschaft تكون سبباً لهلاك الشعب وتدهوره. والتاريخ يرينا كما يقول هؤلاء أن سبب سقوط الشعوب هو إهمالها الزراعة ، وبسبب تقدم الصناعات الكبرى توسعت المدن وظهرت روح جديدة هى روحية المدن بأمراضها المختلفة وازدراء الفلاحة وسكان الأرض وهذا معناه الانحطاط الثقافى . لذلك كان من واجب الوطنية الاشتراكية مقاومة توسع المدن وإرجاع السكان إلى العمل فى الأراضى خارج المدن واتخاذ سياسة استيطان جديدة وإلغاء القوانين التى تجعل الفلاح فى عزلة عن أهل المدن أو أقل منهم ثقافة واجتماعاً، وتحويل المدنيين إلى شعبيين ؛ وبذلك تعود الحضارة البشرية والروح الجرمانية التى يحلم بها هتلر ، وتختفى الفروق الموجودة بين الشعب الواحد ، وتنفيذاً لهذه السياسة ترى وجوب الإشراف على بيع الأراضى وتوزيعها بحيث تضمن ما تراه بصورة عملية[3]

أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدول فيما بينها بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ المالية الأخرى، وتكتب هذه المعاهدات بلغات الدول المتعاقدة لا باللغة الفرنسية كما هو الشائع الآن[4] . وأساس هذه المعاهدات هو نظام المقايضة أو تبديل بضاعة ببضاعة ، وهو نظام تراه الوطنية الاشتراكية أكمل نظام طبيعى ، وقد كانت تتبعه قبل الحرب العظمى فسبب حصول التوتر الشديد فيما بينها وبين بريطانيا وهو الذى يدعو

(١) Friedrich Bülow و Volkswirtschaftslehre ص ١٦٤

(٢) Gottfried Feder و Das Programm der N. S. D. A. P. ص٩ . و Feder نذر هذا من أقدم الوطنيين الاشتراكيين والمفكرين فى جماعة هتلر وهو الشارح لنهج هتلر ولكنه لتطرفه فى آرائه لم يقدم فى الدوائر العليا حينما تسنم هتلر الحكم وظل معتزلا حتى الآن

(٣) انظر كتاب الاقتصادى الشهير الدكتور شاخت Dr. Hjalmar Schacht المسمى Grundsätme Deutscher wirtschaftspolitik 1932 ص ٩

(٤) انظر Herman Göring فى خطاباته المطبوعة سنة ١٩٣٨ ص ٢٦٢ وكذلك النهج نذر ص ٩

(١) انظر نفس المصادر

(٢) Das Programm ص ٤٥

(٣) Das Programm ص ١١

(٤) Rudolf Brinkmann و Wirtschaftspolitik aus national-momialistischen Kraftquell 1939 ص ١٥٠

إلى قلق الأمريكيين دائماً وخوفهم من تفوق التجارة الألمانية على أسواق أمريكا الجنوبية ، وذلك الذى تطلب منعه واتخاذ أساس الشراء الحر

ونظراً إلى أن ألمانيا فقيرة فى المواد الابتدائية فمن الواجب إيجاد مصادر لها فى الخارج وهى المستعمرات . وتقسم ألمانيا مبدئيا العالم إلى قسمين : أمم متحضرة مستهلكة ومصدرة، وأمم كتب عليها أن تشتغل لتزويد هذه البلاد المختارة. ولكن ما هى المقاييس التى تتخذ قاعدة فى الشراء ؟ الذهب أو الإنتاج ؟ إن خلو ألمانيا من الذهب يجعل هتلر يرفض قاعدة الذهب ويطعن فى البلاد التى تتعامل به. وإن النشاط Fleiss والعمل هما رأس المال فقط. وعلى ذلك فكل دولة تشتغل بنشاط وتكافح فى سبيل قوتها تكون هى المملكة الغنية فى العالم ، ولهذا وضع مشروعاً سماه مشروع أربع السنوات غايته الاعتماد على المنتجات الداخلية واستخراج كل ما يمكن من الأرض الألمانية بتفضيل كل ما هو ألمانى على غيره ولو كان أقل جودة وأردأ نوعاً . فالقطاط يجب أن يستخرج من مواد ألمانية صرفة ، وكذلك المسلوز والنفط والبنزين من الفحم الألمانى ، وكل مملكة تسد نقصها من الخارج فهى دولة منحطة متأخرة ؛ حتى قوائم الأكل يجب أن تكون ألمانية بحتة ، ولذلك تستخدم لجنة مشروع أربع السنوات كل ما لديها من وسائط فى سبيل إقناع الأمهات وخصوصاً المجاثر منهن بعدم شرب القهوة أو الشاى بكثرة ، وبعدم أكل الفشدة المحبوبة لدى المسنات على الأخص Sahne بإفراط اقتصاداً وحفظاً للنقد الألمانى من الذهاب إلى الخارج . ولكن ذلك ليس من السهولة بمكان، فقد اختفت الأقمشة الصوفية الجيدة من الأسواق الألمانية ، وظهرت عوضاً عنها الأقمشة الصوفية السللولوزية mell woll واختفت المنتجات المتينة ولكنها أخذت تنافس أحسن الأقمشه البريطانية فى الخارج ، وتنافس بضاعات الأمم الأخرى حتى فى أسواقها المحلية . كل ذلك لجر النقد الأجنبى إلى ألمانيا وتغطية العملة الورقية فيها[1]

مروان على
خريج جامعة هامبرك بالمانيا

(١) انظر كتاب هرمان جورنج ساعد هتلر الأول Hermann Göring Reden und aufsätme 1938 ص ٢٦٢

عبقرية الشريف الرضى

للدكتور زكى مبارك

ظهرت الطبعة الثانية من كتاب « عبقرية الشريف الرضى » فى رونق جميل ، وفى ورق فاخر ، برغم غلاء الورق ، رعايةً لمقام الشاعر العظيم الذى تفرد باجادة التعبير عن أوطار العزائم والأرواح والقلوب

وكتاب « عبقرية الشريف الرضى » هو فنّ مبتكر فى تشريح أغراض الشعراء ، وسيكون له تأثير شديد فى توجيه الدراسات الأدبية

وهو أيضاً صورة ناطقة لمشكلات العقل العربى والاسلامى فى النصف الثانى من القرن الرابع : فهو سناد المؤرخ ونبراس الأديب

وتمتاز الطبعة الجديدة بزيادات وتحقيقات تفصل فى شؤون طال حولها الخلاف

يقع هذا الكتاب فى جزأين كبيرين وثمنهما معاً ثلاثون قرشاً ، ويطلب من المكاتب الشهيرة فى البلاد العربية

أيها الأطفال !

للأديب أحمد محمود فهمى

أنتم أولاد الطبيعة أما نحن فأولاد الحياة !

أنتم تصورون لنا الطبيعة فى شكل آدمى لأنكم صورتها الآدمية !

تغريكم الدُّمى وتسركم الأضواء وتبهركم الألوان

لا تحتاجون إلى أسرار أيها الأتقياء الأطهار .

وما حاجتكم إلى صدر زاخر بالأسرار وأنتم الذين لا تقبلون الحياة إلا بسيطة سهلة لا تعقيد فيها ولا إشكال

خير عندكم من كل مباهج الكبار ومسراتهم ، دمية صغيرة محبوبة ، تدورون بها فى مجال المرح والسرور

يقينكم أنه ليس لكم يقين ، وظنكم أنكم لا تعرفون الظنون

أأنتم لاهون عن الحياة أم الحياة لاهية عنكم ؟

تمر عليكم قافلة الحياة حافلة بشتى المعانى والألوان ، وأنتم عنها لاهون ، كأنكم من غير أعين ولا آذان

لا تعرفون من الحياة إلا طفولتكم ، ولا تعرفون من الطفولة إلا الفطرة والسذاجة والإخلاص !

نحن نحتاج أحياناً أن نجالسكم لنتذكر فى ظل طفولتكم أيام كنا مثلكم ، وننشق من عرف لهوكم وعبثكم ما كان لنا فى ماضينا الطفلى العجيب من لهو عابث وعبث لاه ، فى قلوب مطمئنة متوثبة معاً ، تعرف كل شىء ، ولكنها لا تعرف شيئاً !

حياتكم هادئة مطمئنة لا يفزعكم فيها شىء ؛ ونحن نثوب إليكم دائماً كلما ثارت بنا الحياة ، أو اضطرب عليها هدوؤنا وطمأنينتنا ، فنراكم فى حجر الطبيعة الأم الحنون ، تهدهدكم وتنثر بين أسرتكم الورود والرياحين

إن الحياة تفسد الطبيعة ، ولكن الطبيعة تصلح الحياة ، وإلا فما كانت الحياة تسلب من عَلَتْ به السن معالم الطبيعة ونقاء الفطرة

أيها الأطفال !

أراكم تجرون فى العمر تريدون أن تلحقوا بنا فى مضمار الحياة ، ونحن كذلك نجرى فى طريق العمر إلى مدى لا يعلمه إلا الله

إن منكم من سيظل طفلاً برغم تقدم الحياة والسن ، لأن لون الطبيعة قد انطبع على إهابه

وإن منكم من ستسلب منه الحياة فطرة الطبيعة ، فيصير كأهل الحياة ، يتعلم مكرهم وختلهم ، وتتلاشى من نظراته تلك الأضواء البراقة التى عرفها فى طفولته أسلوباً من لغة الطبيعة . والناس بهذا الوضع سيندفعون مع التيار ، وتنقمر عواطفهم فى العباب

ليت الطفولة لا تفارق الناس فى كبرهم ، ولكن هل كانت الحياة تستقيم على هذا النهج ؟

إننا إذا خرجنا عن نطاق الفلسفة أو دخلنا فى نطاقها وجدنا أنفسنا أحوج ما نكون إلى أن نتخلق ببعض أخلاق الطفولة ، فليست كل مميزات الطفولة غير صالحة ؛ فإن بين طباعها الطهر والنقاء والصفاء ؛ وما أحوجنا فى كل حين أن نكون أنقياء بكل معانى النقاء !

إن الطبيعة والحياة لا تتنافران ، بل ما أحوج المجتمع أن يمزج بين عناصرهما ليتحقق الانسجام والاعتدال

يريد المصلحون أن تقل من المجتمع الشرور والآثام ، وهل يتحقق ذلك إلا إذا مزجنا حياة الكبار بطبيعة الأطفال

وماذا يمحو الشر والإثم غير الصفاء والنقاء ...؟

الواقع أننا فى حاجة إلى مدرسة للطفولة نعلم فيها الكبار فطرة الأطفال ، نعلمهم أو نذكرهم فيها طبيعة الطفولة فيما تفردت به خصائصها ومميزاتها من الفطرة والسذاجة والنقاء

وهل ينسى من فارق مجال الطفولة أنه كان من أبناء الطبيعة فأصبح من أبناء الحياة !

أحمد محمود فهمى

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور مأجنوس اميريشفلد فرع القاهرة
بعيادة مدفية رقم ٤٦ شارع المبانى تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع امراض المسالك
البولية والتناسلية والعقم عند الرجال والنساء وضعف الشباب
والشيخوخة الميكروسكوبية ويعالج بوصفات خاصة لتربية الخلايا طبقاً لأحدث الطرق العلمية
والعيادة من ١٠-١ و من ٤-٦ - ملحوظة : يمكن اعطاء نتائج بالمراسلة للمقيمين بعيد عن القاهرة
بعد تعبير الحالة على مجموعة الأسئلة الميكروسكوبية المحررة على ١٤١ سؤالا والتى يمكن الحصول عليها بقيمة ٥ قروش
(سجل تجارى ٥٢٢٧)

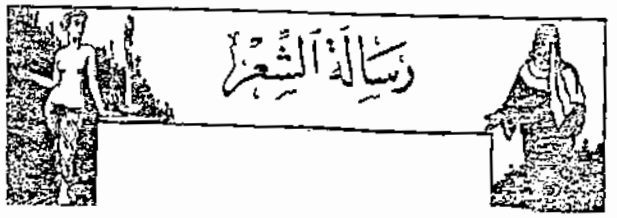

عيـــــد الربيع ...

للأستاذ أحمد محرم

هتف الداعى ، فلبوا يا رفاق واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق
مورد العيش صفا ، والجو راق فهو طلق الساح ، فضى الرواق
ما لمن يزهد فيه من خلاق
عاد فى بهجته عيـــد الربيع يزدهى فى معرض الحسن البديع
هو يا أهل الهوى عيد الجميع ليس للهاجر فيـــه من شفيع
عيدكم عيـــد اجتماع وتلاق
كان للهجر زمان ، فانطوى وخلت من شره دنيا الهوى
كم جريح فيه بالشوق اكتوى كم جريح فيه بالدمع ارتوى
كم مشوق بات مشدود الوثاق
يا شفاء الزهر ، ما أبهى الشفاء إضحكى بالله يا دنيا الحياء
وانظمى شعر الهوى ، إنى أراه سلوة الصب المعنَّى فى هواه
اسكبيه سلسلا عـــذب المذاق
لك من شعرى ربيع دائم كل بيت فيه عيـــد باسم
كل معنى فيـــه حب هائم كل حب فيـــه معنى حالم
كل حلم يملأ السبع الطباق
مرحباً بالعيد ، عيد الشعراء قادة الحب ، وأبطال الوفاء
اعرفوهم ، إنهم حول اللواء صفوة القتلى ، وخير الشهداء
اعرفوهم واستعدوا للحـــاق
يا قلوب الناس ، ما هذا الجمود ؟ أجُنوب تلك منهم ؛ أم لحود !
أنتِ موتى ؛ وبنو الحب شهود ليس فى الدنيا حياة أو وجود
حيث لا يوجد حب واشتياق
لا يحب الله من لا يعشق يشهد العقل ؛ ويرضى المنطق
كل حسن أو جمال يخلق فهو منه ؛ وعليـــه يطلق
وإليه فى معاليه يســـاق
كل حب ، فهو منه وإليه وقلوب الناس ما بين يديه
عالم الغيب ، فلا يخفى عليه كل مافى الكون مسطور لديه
فى كتاب أزلى العهـــد باق
يا كتاب الحب ، ماهذى السطور حِكَم الإنجيل أم آى الزبور !
هى كالفرقان نور فوق نور إن فيها لشفاء للصدور
وغنى للناس عن آس وراق
رددى يا طير آيات الحنين وتغنى بحـــديث العاشقين
نبهى الأشواق فى رفق ولين نبيها فى قـــلوب الراقدين
الهوى استيقظ ، والحب استفاق
عبقُ الريحان ، يُهديه النسيم وجمال الورد فى الروض الوسيم
وصفاء الجو فى دنيا النعيم ووفاء الصاحب السمح الكريم
كل هذا من أناشيدى الرقاق
كلما رددت آيات الكتاب فى محاريب الهوى بين الصحاب
ضجت الدنيا وظلت فى اضطراب إنما الدنيا عذاب فى عذاب
وبنو الدنيا بلاء لا يطـــاق
تلك خمرى يا رفيقى خذ وهات ودع الهم لأهـــل الترهات
نحن فى المعبد نقضى الصلوات هات كأسى يا صريع النشوات
يا لها يا صاح من كأس دهاق
نحن فى عالمنا السامى الجليل ديننا الإيمان ، والحب النبيل
لا نبالى فى كثير ، أو قليل كل من لام خليلاً فى خليل
ما لكم والحب يا أهل النفاق !
يا رفيقى ليس للحب مدى وقلوب الناس لم تخلق سدى
أين من يعقل ، أو يبغي الهدى لا أرى إلا غويًّا مفســـدا
يتمادى فى ادعاء واختـــلاق
طال عهد الزهر بالوادى الخصيب وتمادت وحشة النائى الغريب
وأتى (آذار) من بعد المغيب فتلاق ، من محب وحبيب
بين تسليم ، ولثم ، وعناق
يا نشيد الحب من ذا صنعك ! غن يا (قيس) وقل ما أبدعك
كل طير يشتهي أن يسمعك هذه (ليلاك) يا (قيس) معك
كاذب من قال (ليلى) بالعراق

أحمد محرم

وحي الطبيعة الغربية

الجبل الأبيض

بشامونى — فرنسا

[مهداة إلى الدكتور بشر فارس تذكاراً لزيارة ممتعة]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يُطلُّ على الكونِ من شاهقٍ ... كنسرٍ يُرفرفُ مِنْ حالقِ
وتلمعُ فوقَ ذَراهُ الثلوجُ ... وتَبرقُ كالأملِ البارقِ
له قِمَّةٌ كُلِّلت بالمشيب ... على ظهرِه الأدكنِ العامقِ(١)
وشابَ ... ولكنَّه لم يزَلْ ... فَتِيَّ الغواربِ والعاتقِ
فما توَّسَتْهُ همومُ السنينَ ... ولا ضَرْبةُ الزمنِ الصاعقِ
تَسامَى إلى جَنباتِ السماء ... وطال على رأسِها السامقِ
يلوحُ عليه اتِّزانُ الوَقورِ ... وتَبدو به ثقةُ الواثقِ
تمرُّ عليه تَوالى العُصورِ ... ثِقالَ المؤخَّرِ والسابقِ
وتطرقه حادثاتُ السنين ... فيهزأ بالقَدَرِ الطارقِ ...

* * *

هُناكَ صعدنا إلى مَتْنه ... وطُفنا على نَبْعه الدافقِ
وقد ثار جدولُه ثورةً ... تذكِّرني غَضبةَ الحانقِ
صعدنا هناكَ إلى عالَمٍ ... لذيذِ المنى خالصٍ رائقِ
تَخلَّصَ من صَرَخاتِ الحياةِ ... ومن إنْسِها الناعبِ الناعقِ !
وَمِنْ زَفْرةِ الحِقْدِ بين القلوبِ ... ومن دُخْنَةِ النَّفْسِ الخانقِ ...

* * *

هناك رأيتُ شعاعَ الغروب ... يَدبُّ على الثلجِ كالسارقِ
وقد طالَ وجهُ النهارِ الضَّحوك ... كما طال ليلٌ على العاشقِ ...
وسار بياضُ الثلوجِ الكثيفِ ... على حُمرةِ الشَّفَقِ الغاسقِ
ومت على مَزْجِ ألوانِه ... يَدُ الصانعِ الماهرِ الحاذقِ
تُصَوِّرُ كلَّ طريفِ الجمالِ ... وكلَّ بديعِ الحِلَى شائقِ

محمد عبد الغنى حسن

(١) الغامق بالمعنى الذى يريده الشاعر ليست عربية (الرسالة)

الفيلسوف المجهول

[إن روح المرحوم الدكتور على المنانى بك]

للأستاذ عبد الرحمن الكيالى

ضلت ركاب الفكر عن أخباره ... نسعت تحت الخطو فى آثاره
سبق الزمان إلى الزمان فقصرت ... عن شأوه الأيام فى مضماره
هتفت بأذنيه الهموم وجلجلت ... فى صدره الهمسات من أفكاره
فسمت به فوق السماء وأرسلت ... نغماته بالسحر من أوتاره
كالنجم أفرط فى العلو وإنه ... ليذود لحظ الطرف عن إبصاره
لم يصبه للمجد طيف لم تزل ... هم النفوس تُساق فى تياره
ورمى الخلود بنظرة لو صادفت ... طوداً أشم لدُكَّ من أقطاره
ما الخلد فى عينيه إلا ومضة ... للوهم ترفل فى شفيف دثاره
فتكت بأوطار النفوس ولم تكن ... لتفوز باللمحات من أوطاره
ما ضره ليل تجهم حوله ... وأحاطه بالسود من أستاره
والعود يذهب فى الرماد إذا التظى ... وهج اللهيب يشف عن أسراره
فليرتفع عن دهره متكبراً ... وليحتقر هذا الدهر عن إكباره
وليشد فى مزماره مترنماً ... ويرى النعيم الحق فى مزماره
فدعوه لا تتسمعوا نغماته ... نغماته وقف على إسكاره
لا تنفحوه بالكؤوس فقلبه ... كأس تصفق فى يدى خماره
ملئت بمعسول العقار ولم تكن ... لهواتكم تسمو لرشف عقاره
فليطلع الفجر الوضىء وخلفه ... حجب ترد العين عن أنواره
وليكتم الروض الأريج عبيره ... عن كل مشتم سوى أزهاره
وليحم ذو اللب الكبير شعاعه ... أن تخطف الأبصار من إسفاره
نفحاته قدسية جياشة ... فاضت بماء القلب من قيثاره
ما بالها سلكت سبيلاً مرعشاً ... يرتاح فيه العقل من أسفاره
نسلته من دنيا الفتون ولم تكن ... ترضى بهذا الكون من سماره
فنضا الكرى عن مقلتيه مغرد ... للفجر يهتف بانتعاش نهاره
كشف الصباح لناظريه فأبصرا ... صبح الأنام يموت فى أسحاره

توطئة ...

كتبت — فى هـذا الباب — منذ أسابيع بعض رأيى فى الشعر والشعراء ، ولم يكن همى أن أستوفى كل الرأى فيهما وليس من عملى الآن أن أفصل ذلك ، وإنما هى إشارات فى لمحات يأخذ بها من يأخذ، ويدعها من شاء أن يدع؛ وأنا أحب أن أقدم بين يدى كلامى ... فإن بعض من يغافل نفسه عن حدود الألفاظ ومعانيها ينطلق من ورائها يمد منها بأوهامه مداً بعيداً حتى يخرج بما نكتبه عن المعنى الذى نريده إلى أحلام ووساوس وخطرات يحم بها ثم يغلى ثم ينتفض... ثم لا يكون رأيه فينا إلا وهماً، من فوقه وهم ، من فوقه عناد ، ظلمات بعضها فوق بعض

فأنا حين أهجم على الغرض الذى أريده من النقد أو البيان ، لا أتلجلج دونه لما أخشاه من قالة السوء التى يوكل بها بعض من فرغ زمانه إلا من الفراغ الذى يستهلكه فى اختلاق الأوهام واقعة وطائرة، رائحة وغادية، ثم هو يجلس إليها — بعد أن تفصيل عنه — ليتأملها ويملأ عينيه وأذنيه من مفانها وألحانها ! وأنا أحب أن يعلم من ليس يعلم أنى حين أكتب أكتب عن صديق وكأن ليس بينى وبينه سبب من مودة، وأكتب عن عدوي وكأن ليس بينى وبينه دخان من غضب . فإذا خُيِّل لبعض من يتخيل أنى أماسح صديق أو أتلفف على عدوى فقد أخطأ ، وإنما العيب منه لا منا . . . وذلك عيب علمه أن هذا عدو وهذا صديق ، فيرى من وراء اللفظ ومن تحته ومن فوقه ومن بين يديه معانى ليست منه ولا تتداعى إليه ، وإنما نحن نستوفى الكلام ونعطيه حقه على وجوهه فى الرضا والغضب ، ونأخذ أنفسنا بذلك ما استطعنا ، فإن الحق فى هـذا الذى نكتبه هو حق القارئ لا شهوات من يكتبه ؛ ثم هو بعد ذلك رأينا أصبنا أو أخطأنا ، وليس علينا أن نوافق هوى قارئ لأنه هواه ، بل علينا أن نجتهد له فى إمحاض الرأى الذى نراه ليأخذ منه أو يدع على قدر من اقتناعه أو مخالفته؛ فهذه كلمة أوطئ بها ما بينى وبين القراء ؛ ليسيروا إلينا ونسير إليهم فى مهاد مذلل من الرأى والنصيحة ...

ويسدّه قومٌ كثيرٌ تجارةً ... ويمنعُنى من ذاك دينى ومنصبى

الملوح التائه !

أما « الملاّح التائه » فذاك هو الصديق الشاعر المهندس « على محمود طه » ، وقد عاد بعد خمس سنوات فألقى على شاطئنا ديوانه الثانى « ليالى الملاح التائه » ثم نشر شراعه ومضى . وقد أحدث ظهور هذا الديوان الجديد — فى معرضه الأنيق وشعره القوى الجميل — آثاراً فى توجيه أنظار الناس إليه وإلى صاحبه ثم إلى الشعر خاصة ، ثم اختلف الأدباء عليه بأحاديثهم وآرائهم ، ولغَوْا لغواً كثيراً فى الأغراض التى اشتملت عليها صفحتا هذا الديوان الثانى من شعر « الملاح التائه » . ونحن لن نعرض لشىء مما قيل فى ذلك إلا كما يدرج الكلام على أغراضه بالإشارة والتنبيه والبيان على مجاز السياق

والشعر أيضاً !

ولا بُدّ من أن نعود مرة أخرى للحديث عن الشعر عامةً ، ليكون بعض الرأى فيه مدخلاً للكلام عن « الملاح التائه » ؛

دفن الرقاد قلوبهم برموسه ... وحبا الرياء نفوسهم بشعاره

فانساب تحت الليل يقبس لمعة ... كالمستجير من الصقيع بناره

وازورّ عن أفق الظلام مُغبراً ... تتقطع الأعناق دون غباره

متبتـل ترك الأنام وراءه ... ونجا يحطم من وثيق إساره

حتى إذا نسج الظلام حياله ... ثوب الفناء ولفّـه بإزاره

أرست نوازعه وأشرق لبه ... ورمى الأزمة فى يدى أقداره

فتطايرت آماله من قلبه ... مذعورة النسمات من إعصاره

وترنمت فى ثغره ضحكاته ... بالسخر ترسل من خميج جماره

ورد الحياة وفرّ عن آفاقها ... مستهزئاً بقـدومه وفراره

(الخليل — فلسطين) عبد الرحمن الكيالى

فإن أكثر ما قيل — عن ديوان هذا الشاعر — إنما مردُّه إلى آراء فاسدة في معنى الشعر ، وما هو ، وكيف هو ؛ وإلى الجهل بطبيعة الشاعر وفطرته ومن أين تأتى ، وأنى تتوجه ، وكيف تجرى به إلى أغراضها على نظام لا ينفكُّ عنه أراد أو لم يُرِدْ

وليس يشكُّ أحدٌ أن الشعر في أصله هو معانٍ يريدُها الشاعرُ ، وأن هذه المعانى ليست إلا أفكاراً عامّةً يشتركُ في معرفتها كثير من الناس ، وأنها دائرةٌ في الحياة على صورتها التي تأخذُها بها كل عينٍ ، ويتداولها من جهته كل فكرٍ ، وأنها — إذ كانت كذلك — ليست شيئاً جديداً في الحياة ولا في معانيها وأوصافها وحقائقها ، وإنما تصيرُ هذه المعانى شعراً حين يعرضها الشاعر في معرضٍ من فنّه وخياله وأدائه ولفظه ، فيجدد لك هذه المعانى تجديداً بنقلها من المعرفة إلى الشعور بالمعرفة ، ومن إدراك المعنى إلى التأثُّر بالمعنى ، ومن فهم الحقيقة إلى الاهتزاز للحقيقة ، فتجد المعنى القريب وقد نقلك الشاعر إلى أغواره الأبدية وأسراره العظيمة وكأنه قد خرج عن صورته التي ضُربت عليه في الحياة إلى السِّر الأول الذى أبدع هذه الصورة ، وإلى الصلة التي تصل ما بين المعلوم إلى المجهول البعيد الذى لا يُرى ولا يُلمس

فالشعور والتأثر والاهتزاز هى أصل الشعر ، ولا يكون شعر يخلو منها ومن آثارها وتأثيرها إلا كلاماً كسائر الكلام ليس له فضلٌ إلا فضل الوزن والقافية وهذه الثلاثة لا يكتسبها الكلام من المعانى من حيث هى معانٍ معقولة مدركة ، وإنما هى فيه من روح الشاعر وأعصابه ، ونبضات الشوق الأبدى التي تعتزى في دمه ؛ فأيُّما معنًى عرفه للشاعر ، وأيُّما صورة رآها ، وأيُّما إحساس أحس به ، فهو لا يكون من شعره إلا حين يتحول في روحه وأعصابه ودمه إلى أخيلة ظامئة عارية تبحث عن زيها ولباسها من أسلوب الشاعر وألفاظه ، ثم تريد بعد ذلك زينتها من فن الشاعر لتفصل عنه في مغانيها الجميلة كأنها حسناء قد وجدت أحلام شبابها في زينتها وأثوابها . وبقدر نقصان خزائن الشاعر مما تتطلبه أخيلته الظامئة العارية ، يكون النقص الذى يلحق المغازى الجميلة التي تسبح في دمه من معانيه

والشعر على ذلك هو فن تجميل الحياة ، أى فن أفراحها الراقصة في نسمات من الألحان المعربدة بالحقيقة المفرحة ؛ وفن أحزانها النائحة في هدأة التأملات الخاشعة تحت لذعات الحقيقة المؤلمة ؛ وفن ثوراتها المزمجرة في أمواج من الأفراح والأحزان والأشواق ، قد كُفَّتْ وراء أسوار الحقيقة المفرحة المؤلمة في وقت معاً

وهو على ذلك فلسفة الحياة ، أى فلسفة السمو بالحياة إلى السر الأبدى الذى بث في الحياة أسراره المستغلقة المبهمة التي تُرى ولا تُرى ، وتظهر ولا تظهر ، وتترك العقل إذا أرادها حائراً ضائعاً مشرداً في سبحات من الجمال تضيء فيه بأفراحها كما تضيء بأحزانها ، وتفرح بكليهما وتحزن ، فرحاً سامياً أحياناً ، وحزناً سامياً أبداً

وإذا كان الشعر هو فلسفة السمو بالحياة ، فمعنى ذلك أنه النظام العقلى الدقيق الذى يبلغ من دقته أن يكون منطقه إحساساً مسدداً لا يخطئ ولا يزيغ ولا يبطل ولا يتناقض في أسلوبه الفنى ونظامه الشعرى البديع ، وهذا النظام العقلى النابض الذى يتلقف مادة أفكاره من الحياة لا يستطيع أن يشعر أحياناً ، ولا يشعر أحياناً ، كما قال بعضهم ، ولا يستطيع أن يتقيد بزمان ومكان يستوحى منهما الشعر ثم لا يكون هو يستوحى من غيرهما ، كما ذهب بعض أصحاب الكلام إلى القول حين ظهر « ليالى الملاح التائه » في شعر الطبيعة المصرية ، وشعر الطبيعة الأوربية وما إلى ذلك من فضول الحديث

إنّ هذه الحاسّة العاقلة المفكرة النابضة في الشاعر تأخذ مادتها من مَساقط الوحى في كل أرضٍ وتحت كل سماء ؛ وربَّ خمول أو فترة تأخذُ هذه الحاسة في موطنها ومنشئها ومدْرجها ثم تكونُ البلادُ البعيدة في مطارح الغُرْبة هى التي تنفُض عنها غبارها وتمسحه حتى تجلوها جلاء المرآة ، إعداداً لها لتتلقى صُورها التي تجرى في مائها إلى دم الشاعر ثم إليها مرة أخرى ، ولا تزال كذلك بين الأخذ والإعطاء حتى ينبثق ماء الينبوع من صخرة الحياة الشاعرة

فلا يخدعنَّك ما يقول فلانٌ وفلانٌ ، فإنْ هم إلا أسماء قد ركبتْ على ألقابها تركيباً مَزجيًّا على خطأ وفساد ، كما ركِّبتْ حضرَموت وبعلَبك تركيباً مزجيًّا على صحة وصواب

ليالى الملاح التائه

كل هذا الديوان شعرٌ من شعر « على طه » بعد رحلتيه من مصر إلى أوربا فى خلال هذه السنوات التى انقضت بعد نشره الجزء الأول من ديوانه وهو « الملاح التائه » . وقد كانت هاتان الرحلتان وحياً جديداً فى نفس الشاعر وأعصابه وأحلامه ، وكانتا تغييراً فى حياته عامة وفى أفكاره خاصة ، ولم يكن بد إذن أن يجدَ قارئ هذا الديوان فرقاً بيّناً بين شعر « الملاح التائه » و « ليالى الملاح التائه » . وليس هذا الاختلاف بشىء ألبتّة ، فإن شاعريته لم تزل هى ما هى فى كليهما على نمط لم يختلف ، ولكنه نزع فى هذا الطَّوْر الجديد إلى السهولة والرِّقة ومعابثةِ المعانى والألفاظ بغزل رقيق من عواطفه . وعلةُ ذلك فيما نرى أنه انطلق من قيود مصر فى أول رحلته وخرج شارداً يستجلى روائع الحياة الأوربية الزاخرة ببدائع الفن ومعجزات الحضارة والعلم ، ونزلَ المنازل المتبرِّجة بفتنها فى عواصم المدن الأوربية ، وعبَّ من مُسكراتِ الجمال الفطرىّ والصناعىّ البديع الذى تستجيده أناملُ الحضارة الرقيقة العابثة اللاهية ، والتى لم تدع للفن مَعقلاً إلا لعبت به واستخرجت كنوزه وتلاعبتْ بها على أصول أخرى غير التى بنى عليها الفن القديم البارع المحكم ، وعرضت له الصور التى تفتن الناس بجمالها وتهدمهم بفتنها ، وتقعُ فى دمائهم موقعاً لا تلبث معه إنسانية الإنسان أن تشتمل من جميع نواحيها بلهيب من اللذة والسكر والفرح . . كل ذلك هزَّه وهزَّ أعصابه وألقى عليه من وحيه وتركه يقول من الشعر على السجية غير متكلِّف ولا مُنقِّح ولا راغبٍ فى الكد والعناء و ... ، والخبليَّة الفنية التى تريد البديع ، فإذا أدركته طلبت الأبدع ، فإذا بلغت تسامت إلى ما هو أبدع منهما ؛ لا تهدأ ولا تقرُّ ولا تستريح إلى جميل

كان هذا — فيما نرى — وكانت نفسه الشاعرة المتلفّتة — والتى تهجم بعينيها على أبكار المعانى بنشوة الشباب المريد — تتلفت تلفُّتَ الصائد ، تكاثرَ الصيد بين يديه ، فما يدرى ما يأخذ وما يدع ، وهو مع ذلك لا يزال يذكر صِغاره وأحبابه وهوى قلبه ، ومن يريد أن يصنع لهم حياةً من صَيده ؛ فهو يتلفَّت إليه بقلبه حنيناً وذكرى وصبابة . فهذه العواطف الدائبة فى تكوين شاعريته ، والتى تلوّنها بألوانها وتخاريجها ، هى التى جنحت به إلى السهولة والرقة والغزل الحلو بينه وبين معانيه وألفاظه ، ومن غير الممكن أن يتقيد الغزل الشعرى بقيودِ تضبطه ، وإلا انقلب تكلفاً واستكراهاً وجفوة .

الجندول

وإذا أردت أن تعرف صدق الذى قلنا به من العوامل الجديدة فى تلوين هذا الشعر ، فخذ هذه الأغنية الجميلة التى ترنَّم بها الشاعر الموسيقى ، ثم أعطاها الموسيقىّ البارع « عبد الوهاب » جوّ تغريدها فى ألحان هى من شعر الموسيقى ...

فإن الشاعر حين لعبت به فتن « عروس الإدرياتيك » فى كرنفالها المشهور ، ودَفِىء دَمهُ فى أنقاسها الحبيبة المعطِّرة ، وفجأته فِتنة من فِتَنِه التى عرضت فى صبابته ... أرقّ فِتنة فى أحلى جوّ فى سحر الليل المضىء فى أجمل فن الحضارة فى أحفل الليالى باللهو والعبث ، والضحكات التى تتردد بين أضواء الكهرباء ، حتى كأنها أمواجٌ من الضوء تضحك ضحكها — لم يستطع أن يضبط تلك الأمواج الفرحة المعربدة فى إحساسه الشاعر ، فبدأ يترنَّم :

أين من عينىّ هاتيك المجالى ... يا عروس البحر يا حلم الخيال
أين عُشّاقُك سُمّار الليالى ... أين من واديك يا مهد الجمال

ثم انطلق يصف عاطفته وجو عاطفته وعطر عاطفته ، كل ذلك بألفاظ غزليةٍ عاشقية ، تتنفس أنفاسها من المعانى المرحة ، حتى فى بعض اللوعة المستكنّة وراء نفسه ، والتى استعلنت فى قوله :

« أنا من ضيَّع فى الأوهام عمره »

بعد أن قال :

ذهبىُّ الشَّعر شرقىّ السمات ... مرح الأعطاف حُلوُ اللفتات

كلما قلت له : خذ ، قال : هات ... يا حبيب الرُّوح ، يا أُنس الحياة

كل ذلك والشاعر فى مرح ونعمة وخيال وافتتان ، وكأنه نسى الدنيا التى ولد فيها كما « نسى التاريخ أو أنسى ذكره » ... ولكنه لا يلبث يتلفت بعد ذلك تلفتاً مؤثراً عجيباً ، هو دليل الشاعرية الصحيحة التى اشتمل عليها تكوينه العصبى ... يقول :

قال : من أين ؟ وأصغى ورنا ... قلت : من مصر ، (غريب) ههنا

(غريب) ، هذه كلمة النفس الشاعرة فى مكانها من العاطفة وفى أقصى مدّها من التأثير ، إنه حرف يبكى من الغربة والحنين

نحو التربية الفنية

هـــذا أستاذ

للأستاذ عزيز أحمـــد فهمى

— هل تستطيعين أن تساعدينى على ترشيح صاحب ديوان (الجداول) ليكون أستاذاً فى كلية الآداب ؟

— ما ديوان الجداول هذا ، ومن صاحبه ، وأين هو ، وما الذى يميزه عن غيره حتى تطلب له أن يكون أستاذاً فى كلية الآداب عندنا ، وأنت تعرف أن للأستاذية فيها شروطاً ، منها ، أن يكون الأستاذ حاصلاً على الدكتوراه ؟

— ديوان الجداول هو مجموعة من شعر إيليا أبى ماضى ،

والتذكرى ، ولو سقطت هذه الكلمة من الشعر لسقط كل الشعر ولسقط معه رأينا فى العوامل التى عملت فى شعر « على طه » بعد رحلته إلى أوربا، لو قال: (من مصر) وسكت، أو أتى بذلك الحشو الذى لا معنى له، والذى يكثر فى شعر الضعفاء، لانسلخ عن الشعر إلى سؤال يتلقاه المرء من فضولى قائم على طريق السابلة ، وجواب استخرجه الفضول والأجاجة ... ثم هى بعد ذلك التفات يخيل لك معه أن الشاعر قد رد فقال : من مصر ، ثم انتقل بوجهه إلى مصر ، وتلقى دمعة يموّهها بيده ويمسح أثرها بمنديله — فى هذا الجو المرح العابث اللاهى — وهو يقول : (غريب ههنا)

هذا ... وقد أخذت هذا الموضع وحده من القطعة لشهرتها الآن وليتدبر من يسمعها فإن فيها من أمثال ذلك كثير ، مما هو دليل الشاعرية الناضجة التى لا تخطئ معانيها . ولو أخذت سائر شعره على هذا الأساس الذى كشفنا لك عنه فى حديثنا عن الشعر لوقفت على روائعه التى هى روائعه

محمود محمد شاكر

وهو به يستحق أن يكون أستاذاً فى كلية الآداب ، أما الدكتوراه فشهادة يمنحها القارئون الكبار للقارئين الصغار، ولكن إيليا أبا ماضى لم يعد قارئاً، ولا كاتباً، وإنما هو إنسان ينفذ من هذا الوجود المحسوس إلى ما بعده ، ثم يعود إلى الناس يروى لهم ما رأى وما سمع وما أحس وما أدرك ... وهو من كثرة تجواله فى آفاق الكون ألم بالكثير من دروبه ، وأحاط بالكثير من طرقه ، فهو يستطيع أن يكون رائداً لجماهير من التلاميذ تتبعه ، يرشد منهم من يسترشد ، ويوجه منهم من يحار ، ويعلم منهم من يرتبك ، ويهدى منهم من يضل ... وهذا هو عمل الأستاذ . أستاذ الأدب

— هذا عمل الفارغ من حياته المستغنى عن عمره وليس عمل أستاذ الآداب

— ولن يكون الإنسان أستاذاً للآداب إلا إذا فرغ من حياته واستغنى عن عمره ، واشترى بهذه الدنيا شيئاً آخر ، هو الأدب . والأدب ليس كما تحسبين كلاماً منمقاً مزوقاً لبعض الناس قدرة على تخليقه ، والبعض الآخر عاجزون عنه ، وإنما الأدب تربية نفسية يجاهد اليتيم فى تقويم نفسه بها ، وغير اليتيم يسعد بما يربيه عليه أبوه أو أستاذه . واليتامى مساكين ، قليلاً ما يوفقون إلى الهدى وكثيراً ما يفلت زمام أنفسهم من أيديهم فينطلقون فى الحياة ونفوسهم مشردة معربدة تتقمص فى الرذيلة حيناً ، وتتخبط أحياناً بين الرذائل والفضائل، ولكنها لا تستقر على فضيلة إلا ما فرضه عليها مجتمع اليتامى المشردين الذين يحيطون بها ، وليس يفرض هذا المجتمع كثيراً من الفضائل ، فهو كمجتمعات المشردين والمشبوهين من اليتامى والمساكين الذين تريهم ملقين فى الشوارع ...

— وهل فرغ إيليا أبو ماضى من حياته حقاً وتوفر على تأديب نفسه ، فهو إذن قادر على أن يؤدب غيره ؟ وإذا كان قد فرغ من حياته حقاً فمن أين يأكل ... وكيف يعيش ؟

— إنه يأكل كما تأكل الطير فى السماء ، ويعيش كما يعيش الحر الكريم ؛ منذ سنوات وسنوات هبط مصر وأراد أن يستقر فيها ، فاتخذ لنفسه محلاً يبيع فيه السجاير والدخان ووقع عليه

أنطون الجميل بك فرآه يكتب شعراً فى الدكان، فقرأ شعره فأعجبه فنشره فى مجلة كان يصدرها ، فقامت قيامة الأدباء والشعراء المصريين عليـه فأوسعوه نقداً ، وأوسعوه تجريحاً ، وتناولوا ألفاظه ولغته وراحوا يناقشونه فى هذه الفاء ما موقعها من الإعراب، وهذه النون لماذا هى مفتوحة وهى فى الأصل مضمومة ، وهذه الهمزة ، لماذا قطعها وهى همزة وصل ؟ وتكاثروا عليه ، وكان فى مصر إذ ذاك أمير للشعراء هو المرحوم أحمد شوقى بك، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول كلمة ينقذ بها إيليا من بين براثن هؤلاء الذين ينقدون الشعر بغير ما يصلح نقداً للشعر ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول لهؤلاء النقاد : إنى أربأ بالشعر أن يعيبه هذا الذى تروون مما يعيب اللغة والعروض والنحو وسائر ما يحصل بالقراءة والدرس ، وإنى أرفع الشعر فوق هذا كله ، فهو حديث النفس والنفس من الله وليس لله لسان مما ننطق به . كان شوقى بك رحمه الله يستطيع أن يقف من إيليا هذه الوقفة ولكنه — رحمه الله — كان مشغولاً بشعره هو وبنفسه هو ، وبالملك العريض الذى أرسله فيه الزمن ، فلم يشعر مطلقاً بالذى حدث لأبى ماضى ، ولم يطق أبو ماضى صبراً على هؤلاء الهاجمين فشد رحاله إلى أمريكا ، حيث يتكلم الناس بالإنجليزية ، وحيث لا عرب إلا الباحثون عن الرزق ، والخارجون من أوطانهم وأيديهم صفر ، ثم استطاعوا هناك فى أشد معامع الحياة ازدحاماً واصطراعاً أن يجمعوا المال وأن يعيشوا به كراما ، لا ذل يرهقهم إلا الغربة ولا مستعبد يزجرهم عن الأرض ؛ وإنما لكل امرىء هناك ما سعى ، ولقد سعى أبو ماضى فأنشأ هناك مجلة اسمها المسمر ويقولون : إنه أنشأ متجراً للدخان والسجاير أيضاً ؛ وزاح بعـد ذلك يتأمل الدنيا ويرنو إلى الآخرة ، ويقيد على الورق ما يتكشف له من الحقائق ، وما يلمحه من المبهمات ، ويسجل على نفسه بلوغها وقصورها ، وخيرها وشرها ، وهداها وحيرتها أفلا يصلح هذا أستاذاً لأدب النفس ؟ فإن كان لا يصلح ، فمن ذا الذى يصلح ؟ !

— ولكن هذا الذى رويته من حياته يدل على أنه من رجال الدنيا المغامرين الذين يجرون وراء الرزق والمـادة من آسيا إلى أفريقا إلى أمريكا فكيف تقول إن هذا رجل ترخ من الحياة واستغنى عن مادتها ؟

— البلبل يطير من فنن إلى فنن يتلقط رزقه ، ولكنه لا يقضى كل وقته فى البحث عن طعامه ، وإنما يقضى أغلبه فى الشدو والترتيل فهما طبعه وقد اختص بهما ، وليس الأكل من طبعه إلا كما هو من طبع الخلائق ، وليس الشدو والترتيل من خصائص غيره إلا من كان على طرازه من الخلائق . فأبو ماضى لم يجد رزقه فى الشام فطار إلى مصر ، فوجد فيها الرزق مقدوراً عليه فطار إلى أمريكا، فوجد فيها رزقاً مباحاً طاهراً قد يكون كثيراً وقد يكون قليلاً ولكنه نقى غير محسود ، فلا عجب إذا اطمأن أبو ماضى هناك — ولكن ثق أنه يحن إلى الشرق، ولعل أغلب حنينه يهتاج إلى مصر فهو يقول :

وطنان أشوق ما أكون إليهما ... مصر التى أحببتهـا وبلادى
ومواطن الأرواح يعظم شأنها ... فى النفس فوق مواطن الأجساد
حرصى على حب الكنانة دونه ... حرص السجين على بقايا الزاد
بلد الجمال خفيـــه وجليه ... وانقن من مستطرف وتلاد
عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد
إلا بمصر نضـــارة الآباد ...

— ولكن هذا شعر يسير المعنى قريب اللفظ ... أليس له شعر أحلى ؟

— له ... له كل هذا الديوان الذى فى يدى ، وله غيره ... وبارك الله لصاحب الرسالة الذى ينشر فيها بين الحين والحين شيئاً من شعره ، وكم أريد أن أقول أيضاً بارك الله لوزارة المعارف لو أنها عطفت على تلاميذها وطلابها ويسرت لهم شيئاً من هذا الشعر

— ولكنه لا يزال حياً يرزق ، والدولة لا تخلد إلا من فارق الحياة . . .

— فأل الله ولا فألك ، فوزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ الجارم الموظف بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ أحمد أمين عضو لجان وزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الدكتور طه حسين بك مراقب الثقافة بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تكاد لا تلتفت إلا لمن كان فى وزارة المعارف، منذ حسنين باشا

صاحب كتاب الطبيعة ، وعبد الفتاح صبرى باشا ، وكل ما فى الأمر أن الصور تتبدل وتتغير ، وأن الكلام يتلون ويتشكل ، ولكن الأمر لا يزال كما كان : موظفون يؤلفون كتباً . ثم يؤلفون لجاناً . فتقرر اللجان الكتب ...

— إخسأ . لا تقل عن هؤلاء الأساتذة الأجلاء إنهم أصحاب أهواء ولا مطامع فهم الأدباء الذين فى البلد ، وهم الشعراء وهم الكتاب ، فإذا لم تأخذ الوزارة كتبهم فأى الكتب تأخذ ؟

— إن أساتذتنا هؤلاء هم أساتذة الجامعة ، فأحرى بهم أن يوفروا أنفسهم للعلم ؛ لأنهم على العكس من إيليا أبى ماضى . . . هو يتاجر فى الدخان ليأكل منه وليفرغ للأدب لايذل نفسه ، وهم يتاجرون بالأدب ليأكلوا منه لا يعتزون بأنفسهم ، ولا يشكرون الله على ما يسر لهم من وظائف ...

— ثق أنك مخطئ ، وثق أنهم أرفع نفساً مما تحسب ، وثق أنهم يتجشمون فى سبيل تثقيف البلد ما أسأل الله أن يجزيهم عنه خيراً ...

— آمين ... إسمع أبا ماضى يصف الشاعر :

أتقولون إنه مجنون
أتقولون إنه مفتون
أتقولون شاعر مسكين
كم مليك كم قائد كم وزير ود لو كان شاعراً مسكينا
عاش ملتن فلم يكن مذكورا
وهوميروس كالشيخ كان ضريرا
ولقد مات إبن برد فقيرا
أرأيتم كما رأى العميان أفلستم بنوركم تهتدونا ؟

— هل هو زاهد ؟

— نعم ، وهو يقول فى الزهد :

قيل : أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت : إن صح الذى قالوا ، فإن السر شائع
عجباً ! كيف ترى الشمس عيون فى براقع
والتى لم تتبرقع لا تراها ؟ ...

لست أدرى ...

— إذن فهو يسخر من الزاهدين ...

— إنه لايسخر من شىء مطلقاً وإنما هو متطلع إلى الوجود يتعلم الحكمة فكلما تعلم حكمة تفتقت له من ورائها حكمة ، فهو لا يزال كلما تعلم علماً تبين له فى نفسه جهل حتى يقول :

إننى جئت وأمضى ، وأنا لا أعلم
أنا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لاتجادل ... ذوالحجى من قال إنى ...
لست أدرى ...

— لعله كافر ...

— الكافر لا يقول للناس :

لو دخلتم هيا كل الإلهام
وسرحتم فى عالم الأحلام
واجتليتم سر الخيال السامى
وعرفتم كما عرفنا الله لخررتم أمامنا ساجدينا

— إذن فهو مؤمن ...

— ومسلم فى مسيحيته ، لو عرفته لوافقتنى على ترشيحه للأستاذية فى كلية الآداب بعلم طلابها الإيمان والحكمة شعراً ، ويؤدب نفوسهم أدباً ، فإذا تعذر هذا أو صعب فلا أقل من أن يعرض على التلاميذ ديوانه .

عزيز أحمد فهمى

الفصول والغايات

فى تمجيد الله والمواعظ

وهو معجزة أبى العلاء المعرى فى النثر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفادها

يباع فى ادارة الرسالة وثمنه ٣٠

تضـــارب فى الرأى

يؤدى إلى كشف خطير

الدكتور محمد محمود غالى

من الفكرة الشيئية إلى فكرة الأثير — هجر العلماء الفكرة الشيئية واعتناقهم الفكرة الحدثية — تجربة « ميكلسون » والأثير — هجر العلماء الفكرة الحدثية وترددهم فيها — تطور ينفتح عن تعديل فى الميكانيكا النيوتونية — لا تعديل فى الضوء

نرافق القارئ فى مرحلة من العلوم تضاربت خلالها الآراء ، تلك المرحلة التى حاول الإنسان فيها أن يفهم الظاهرة الضوئية ، ويتعمق فى معرفة كنه « الفوتون » ، وهو الذرة التى تتكون منها الأشعة على اختلاف أنواعها ، والتى كانت عند « نيوتن » جسيما صلباً ، وعند « فرنل » موجة ، وهى اليوم عند « دى بروى » جسيم وموجة مستصحبة له ، وقد شرحنا للقارئ النظرية الشيئية للضوء التى أسسها « نيوتن » والتى نوجزها فى أن الضوء مكون من جسيمات صغيرة مقذوفة فى الحيز فى خط مستقيم وبسرعة كبيرة ، وذكرنا أن ظواهر الضوء الهندسى Optique Geométrique من تكوين ظلال الأجسام عند وضعها أمام منبع ضوئى ومن انكسار الأشعة الضوئية عند اختلاف نوع المادة التى يخترقها الضوء ، يجوز تفسيرها بالنظرية الشيئية النيوتونية ، وعرضنا للقارئ ظواهر أخرى للضوء مثل ظاهرتى التداخل والاستقطاب اللتين كشف إحداها « يونج » Thomas Young لا يمكن تفسيرها بالنظرية الشيئية المتقدمة ، ويمكن ذلك باللجوء إلى فكرة فرضية ، فكرة أثيرية أسسها الرياضى « ويجانز » والمهندس الطبيعى « فرنل » ونذكر للقارئ اليوم أن ظاهرتى التداخل والاستقطاب لم تكونا وحدهما سبباً لهجر الفكرة النيوتونية واعتناق المذهب الأثيرى ، بل إن ثمة ظاهرة أخرى من أهم الظواهر المعروفة وهى ظاهرة « الحيود » فى الضوء Diffraction لم يتيسر تفسيرها أيضاً باللجوء إلى فكرة نيوتن ، وأمكن تعليلها بالنظرية الأثيرية أو الموجية المتقدمة ، وتتلخص هذه الظاهرة فى أنه قد ثبت بالملاحظة ، عند ظروف معينة ، أن الضوء لا يسير فى خط مستقيم كما هو المعتقد منذ القدم ، بل إن الأشعة الضوئية عند مقابلتها جسما محدداً بحافة مستقيمة تميل بحالة تدل على حيودها عن مسارها ، وتتضح نتيجة ذلك من ظاهرة تشبه ظاهرة التداخل التى تكلمنا عنها

وأمام ظواهر طبيعية لم يكن يعلمها الأقدمون شيد « ويجانز » الهولاندى هيكلا رياضياً رائعاً ، وقام « فرنل » بتجارب بالغة حد الإتقان وحسابات لا يتطرق إليها الشك ، وجرا ، عن عقيدة ، النظرية الشيئية للضوء ، وأسسا افتراضاً لفهم الظواهر الضوئية نوجزه فى أن الضوء حادثة أو أمواج وقعت فى مادة تملأ الكون بأسره ، وهى مادة الأثير التى طالما سمع القارئ عنها فى الكتب العلمية البحتة وفى البحوث الفلسفية ، والذين يراجعون اليوم منا تلك الحسابات الباهرة لويجانز وفرنل ويعيدون بعضاً من هذه التجارب الرائعة يتجولون فى الواقع فى هيكل من أجل الهيا كل التى شيدها الإنسان المفكر ويشاهدون ناحية من أبدع مناحى العلم التجريبى ، وهكذا كانت ثقة فرنل بالوسط الأثيرى الذى افترضه افتراضاً ثقة علمية ذهبت به إلى حد معاملة « الأثير » معاملة الأوساط المادية ، وذلك بالقيام بحسابات رياضية حاول أن يعلم منها الدرجة التى يتحرك بها هذا الأثير عندما تتحرك المادة فيه ، وقد دلت تجربة فيزو Fizeau الذى قام بقياس سرعة الضوء فى أنبوبة تحمل ماء متحركا على أن سرعة الضوء فى اتجاه حركة الماء تختلف عن سرعته فى الاتجاه المضاد ، وبذلك بيّن بطريقة تجريبية حركة الأثير توهمها فرنل الذى نظر إليه كمادة موجودة فى الوجود تسرى عليها قوانيننا الطبيعية ونعاملها معاملة ميكانيكية ، ولم يصبح الأثير بذلك فرضاً رياضياً فحسب ، بل مادة كائنة فى الوجود نطبق عليها قوانين : « جاليليه » و « نيوتن » الميكانيكية ، وكانت ظواهر التداخل والاستقطاب والحيود السبب فى انتصار هذا النوع من التفكير ، وفى تأييد نظرية أثيرية موجية

يصح أن نسميها هنا لأول مرة : « النظرية الفريجانزية » نسبة لاسمى فرنل وفريجانز .

ولكن رغم هذه الانتصارات المتتابعة ظل الأثير وسطاً عجيباً ، إذ يجب أن يكون له خواص الأجسام الصلبة بحكم أن الضوء أمواج مستعرضة ، وليس أمواجاً طولية ، وكانت الفكرة فى مولد الأثير عن فرض نظرى لتفسير وقائع معينة سبباً جعل العلماء ينظرون إليه بشىء من عدم اليقين ، ولم يكن هناك لإثبات وجوده وحركته غير تجربة واحدة لفيزو ، لا تكفى باعتبارها تجربة واحدة وصادرة من مصدر واحد أن تقوم دليلاً قاطعاً على وجوده

هذا الشك فى الوسط الوهمى الذى افترضه العلماء افتراضاً جعل العالم الكبير ميكلسون[1] Albert Michelson يقوم بتجربته الشهيرة التى وإن مضى عليها الآن ستون عاماً إلا أن الأثر الذى أحدثته لم يكن بالأمر الهين ، وهى التجربة التى أراد أن يعرف منها كيان هذا الأثير ، بل يعرف شيئاً عن وجوده أو حركته

لجأ ميكلسون إلى استنباط جهاز يتركب من ذراعين ا ب ، ا حـ طولها واحد وأحدهما عمودى على الآخر ، ووضع مرآة فى طرف كل ذراع كما هو مُبيَّن بالشكل (١) ووضع عند ا منبعاً ضوئياً وأرسل منه فى الاتجاه ا ب شعاعاً ضوئياً يصل للمرآة ب وينعكس مرة أخرى إلى ا متقبعا السهمين ا ب ، ب ا ، كذلك أرسل من ا وفى الاتجاه ا حـ شعاعاً آخر يصل المرآة حـ وينعكس إلى ا وفق السهمين ا حـ ، حـ ا

وبديهى أنه فى الحالة التى لا يتحرك فيها الجهاز فى الأثير ، فإن الضوء يأخذ الوقت ذاته لعمل الرحلة ا ب ا ، والرحلة ا حـ ا . كذلك فى الحالة التى يتحرك الجهاز فيها فى الاتجاه ا ب مثلاً ، ويتحرك الأثير فى الاتجاه ذاته بنفس السرعة ، فإن الزمن للشعاعين يجب ألا يتغير ، ولكنا نعرف من تجربة فيزو السابقة أن الأثير يتحرك بحالة ضعيفة فى اتجاه الجهاز ، وعليه فيجب أن يكون هناك فارق فى سرعة الشعاعين ، ويدل الحساب على أن الشعاع ا ب ا ، يجب أن يأخذ فترة من الزمن أطول من الفترة التى يأخذها الشعاع ا حـ ا ؛ ومن الواضح أنه يجب لنجاح التجربة أن يتحرك الجهاز بأكبر ما يمكننا من السرعة ، حتى يكون فى الإمكان قياس الفرق بين الحالتين ، نظراً لعظم سرعة الضوء ، ولا شك أن القارئ يتساءل الآن : أنَّى لنا هذه السرعة للجهاز التى تجعلنا نستطيع أن نقيس الفارق بين سرعته وسرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية؟ ولكن ميكلسون وجد ذلك فى الأرض نفسها ، ذلك أن الأرض غير ثابتة ، وتسير حول الشمس سيرها الأبدى بسرعة تبلغ ٣٠ كيلومترا فى الثانية ، وعلى ذلك ، فقد كان على ميكلسون أن يعتبر الأرض ذاتها كجزء من جهازه ، ويبحث دون تحريك الجهاز عما إذا كان هناك فارق فى الوقت الذى يتخذه كل من الشعاعين

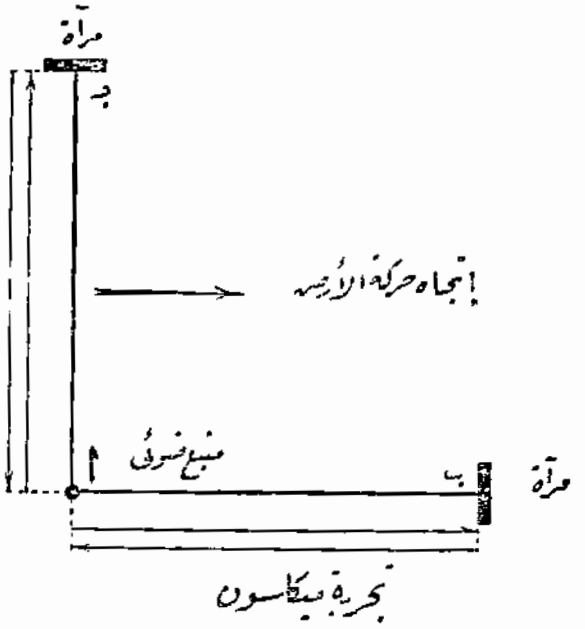

(شكل ١)

ترى ماذا كانت النتيجة التى وصل إليها « ميكلسون » ؟ لقد وصل إلى نتيجة غير منتظرة بل نتيجة عجيبة . ذلك أنه لم يجد أى فارق بين سرعة الشعاعين رغم أن دقة التجربة كفيلة بأن تظهر أقل من ذلك الفرق . وهكذا كانت تجربة ميكلسون بمثابة ضربة قاضية على وجود الأثير .

ومع ذلك فإن وجود حالة موجية للضوء أمر لا يقبل الجدل وهى حالة تستدعى وجود مادة أثيرية لها خواص الأجسام الصلبة — من ذلك حصلت أزمة علمية عصيبة ، فلا المتذهبين بمذهب نيوتن بقادرين على تفسير ظاهرتى التداخل والاستقطاب وغيرهما ولا الآخذين برأى الموجية ووجود الأثير وهم التابعون لفرنل وفريجانز بمستطيعين أن يفسروا لنا تجربة « ميكلسون »

(١) عالم أمريكى معروف حاز جائزة نوبل فى سنة ١٩٠٧ ، وقد استطاع فى سنة ١٩٢٠ أن يقيس قطر بعض النجوم الكبيرة بطريقة تداخل الضوء Interference وقد توفى « ميكلسون » منذ بضع سنوات عن ٧٩ عاما

وإزاء هذه الصدمة العنيفة كان يجب أن يبحث العلماء عن طريقة جديدة ، وقد انتهى بهم البحث بعد وقت ليس بالقصير إلى أن الضوء ليس هو الذى يجب أن يكون موضع التعديل إنما هى معارفنا عن الميكانيكا وعن الحيز والزمن هى التى يجب أن تُعدَّل ، وكان على العلماء أن يتفهموا الكون وقوانينه بطريقة غير الطريقة النيوتنية ، التى اعتُبرت صحيحة سنوات طوال ، والتى كانت فى الواقع طريقة تقريبية لكى نفهم الدار التى نعيش فيها ، ولكنها لم تكن كافية لكى نفهم تفاصيل هذه الدار

هنا ينحنى جيلنا أمام معادلات لورنتز Lorentz التى سنتكلم عنها ، وهى المعادلات التى أدمج فيها الزمن فى الحيِّز والحيز فى الزمن ، بل وينحنى جيلنا أمام تفكير أينشتاين الذى أفاد من هذه المعادلات نخرج بنا من المأزق السابق ، وأفهمنا الكون على صورة غير التى عهدناها له ، ولعل القارئ قد أفاد من تتبع هذه الأزمة الطبيعية التى بدأ بتمثيل الدور الأول منها شيخ علماء الأجيال المنصرمة « نيوتن » والتى ظهر فى آخر فصولها شيخ علماء الجيل الحالى « إينشتاين »

ولكنا نورد ، قبل الدخول فى تفسير معادلات « لورنتز » ونظرية « أينشتاين » ، ملخصاً عن الضوء كظاهرة كهربائية وعنه كظاهرة مادية ، وسيعلم القارئ منها أن الموجات الضوئية ما هى إلا سلسلة تموجات عامة فى الكون ، تبدأ بتموجات كبيرة أطوالها بضعة كيلو مترات ، وهى الأمواج الكهربائية أو « الهرتزية » نسبة للعالم « هرتز » Hertz والتى نعرف منها الأمواج الطويلة والوسطى التى تنتقل من مكان إلى مكان متتبعة منحنى سطح الأرض ونعرف منها الموجة القصيرة[1] ، وهذه الأخيرة تصل من مكان إلى آخر بالانعكاس على الطبقات العليا من اليونات الجوية[2]

تلى هذه السلسلة من التموجات الموجات تحت الحمراء Infra-rouges ، ثم الموجات المرئية من اللون الأحمر إلى البنفسجى ، ثم تلى ذلك الموجات القصيرة غير المرئية ، التى تبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتستمر إلى الأشعة السينية Rayons X وتنتهى بإشعاع الراديوم وبالأشعة الكونية التى كتبنا عنها

وسيتبين للقارئ من استعراض الضوء كظاهرة مادية ما للضوء من ضغط على المادة ، وهو الضغط الذى أمكن حسابه وقياسه ، كل ذلك يقودنا إلى فكرة النسبية وإلى نظرية الكم Quanta اللتين نتناولهما قبل أن نتناول موضوع التفتت الذرى Désintegration وهو الموضوع الذى يتطلب الإنسان من ورائه مستقبلاً أرقى مما وصل إليه ، ويتطلع إلى نوع من المدنية عجيب ، قد يختلف جد الاختلاف عن المدنية التى نستمتع بها اليوم .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانه

(١) بالانجليزية Short Wave وبالفرنسية Onde Courte

(٢) يراجع القارئ المحاضرة القيمة لسير جيتون Gutton عضو المجمع العلمى الفرنسى التى ألقاها فى الجامعة المصرية منذ عامين والتى نشرت لها خلاصة فى محاضر الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية Proceeding of the Egyptian Math. & Phys. Society

٣/٤ عدد الرجال لا يتمتعون ببهجة الحياة !
وبمكنك معرفة أسباب ذلك وعلاجها بسهولة . وهذا ما يبدو عليهم من فقدان النشاط ، والمزاج العصبى وعدم الميل الى العمل ، والفشل فى الحياة الزوجية ، أقرأ الشرح فتعرف النفس والجسم معاً .
علماء العالم الطبى يقررون بأن نقص الهرمونات فى العادة يسبب لوضع محصور ، لأن السبب فيها الهرمونات . فاذا حرم الجسم من كفايته من هذه المواد الحيوية الطبيعية ، حرم من النشاط ومن القوة الحافزة وكل سبل التقدم . ولكن هيهات فقد صار الآن فى الإمكان تعويض الجسم بهذه الهرمونات الحيوية الأثيرة فى شكل مستحضرات طبية ، يتمكن جميع الرجال الذين يشكون من قلة الهرمونات فى أجسامهم ان يبادروا الى انقاذهم وفير
اكب مستحضرات « لولوتيطس » الهرمونية ، وهذا السر نجاح « لولوتيطس » فى معالجة جميع الحالات التى فشلت فيها سائر الأدوية . لأن « لولوتيطس » يحتوى على جميع العناصر الهرمونية الضرورية للحياة الجنسية (بالصوى الجوية) بجانب مقادير وفيرة من فيتامين (ب) المقوى للأعصاب . وهذا ما يجعل « لولوتيطس » يمنح الرجل الحياة الجديدة ، ويعيد اليه نشاط الشباب وقوته وحيويته ، ويجعله يتمتع بالحياة الجنسية
برسوم زاد ثمنه الوان و ٣ للنسخة المرسلة بريدا فى جميع انحاء العالم . اطلب نسخة من البيان المصور من « صيدلية نوى تيطس نمرة ٣ » صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر
اقتناع .. سرعة الصدى فاتحة للنجاح . اطلب نسخة من البيان المصور من « صيدلية نوى تيطس نمرة ٣ » || مجانا ص . ب ٢١٠٥ بمصر او طلبك طابع بريد ٥ مليمات
(سجل تجارى ٥٢٢٧)

أُمٌ بلا ولـــد !

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت خديجة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، أو لعلها قد جاوزتها ، وإن كانت تبدو لمن يراها أصغر من ذلك ؛ فهى قد نالت شهادة (المعلّمات) منذ سبع سنين ؛ فكم كانت سنها يومئذ ؟ ... على أن ذلك لم يكن يعنيها كثيراً ، ولعلها لم تشغل نفسها يوماً بحساب عمرها ؛ وماذا يجدى عليها ذلك وإنها لسعيدة بحياتها التى تحيا ؛ فما لها فكر فى غد ولا أمل يمتد إلى ما وراء غد !

وهل يشغل نفسَه بحساب عمره وما مضى من أيامه — إلا ذو أمل يعيش به من يومه فى غده ، أو عاشق تتجاذبه لهفة الذكرى وخطرات المنى ؟

* * *

منذ سبع سنين لم تغير خديجة شيئاً من نظام حياتها ، فهى تغادر مدرستها كل يوم قبيل العصر بعد أن تودع تلميذاتها وتلاميذها ، لتلقاهم فى صبيحة اليوم التالى أشوق ما تكون أمٌّ إلى بنيها وبناتها !

وفيما بين مسائها وصباحها لم يكن لها من عمل إلا أن تأوى إلى غرفتها تقرأ فى كتاب ، أو تشارك فى عمل هين من أعمال البيت، أو تخرج لزيارة بعض جاراتها وصديقاتها منذ أيام الدراسة؛ فإذا بدا لها يوماً أن تخرج إلى بعض الحدائق العامة للرياضة ، أو تشاهد رواية جديدة فى السينما ، أو تقصد إلى بعض المشاهد التى يؤمها الناس للتفرج — فلا بد لها يومئذ من رفيقات أو رفقاء من تلاميذها الصغار فى روضة الأطفال يشاركونها فى الرحلة والتفرج !

على أن هذا الحب العجيب الذى كانت تمنحه هؤلاء الصغار لم يكن بلا جزاء ؛ فقد كان تلاميذها يبادلونها حباً يفوق ما يمنحون آباءهم وأمهاتهم اللائى ولدنهم !

وما كانت خديجة هى المعلمة الوحيدة فى روضة الأطفال؛ فإن سبع معلمات يحملن معها أعباء العمل المدرسى؛ ولكنها هى وحدها — بهذه العواطف الأمومة الصادقة — كانت فى عيون أطفالها هى المعلمة الوحيدة . لا جرم كانت خديجة بذلك أسعد زميلاتها وأكثرهن شعوراً بمسرات الحياة !

* * *

وغنيت خديجة بدنياها تلك عن المنى والأحلام ؛ فما طوعت لنفسها أن تحلم أو تتمنى ، ولا حدّث فى قلبها أن وراء هذه الحياة التى تنعم بهدوئها حياة تتخايل فى أوهام كل فتاة فى فنون وألوان !

وكان صباح ، وجاءها ساعى البريد بخطاب ...

ونظرت الفتاة فى غلافه قبل أن تفضه فأطالت النظر ، وكأنما أحست وراءه عينين تنظران إليها نظرة لم تفهم معناها ولا رأت مثلها لذى عينين ؛ وقرأت على الغلاف : « الآنسة خديجة ... » من يكون صاحب هذا الخط ؟ ... وترددت برهة ، ثم همت أن تفضه لتعرف ما فيه ، ولكنها لم تفعل ؛ لقد خيل إليها أن أربع عشرة عيناً تنظر إليها لتعرف قبلها ما فى هذا الخطاب ؛ إن زميلاتها فى المدرسة على مقربة ! ... وتصنعت عدم المبالاة ووضعت الرسالة فى حقيبتها وما قرأتها ...

ولأول مرة أحست خديجة أنها فى حاجة إلى أن تبتعد عن أطفالها لتخلو إلى نفسها برهة ، وكما تحاول الأم أحياناً أن يبعد عنها أطفالها وهم أحب إلى قلبها لتخفى عنهم بعض أسرار الأمومة، كذلك فعلت خديجة ... !

وأوت إلى ركن قصى تقرأ رسالتها ... ...

« عزيزتى خديجة !

« تُرَى هل تذكرين ؟ أو تعرفين ؟ ...

« إن أياماً لا أتمتع فيها بمرآك ، ليست من الحياة ؛ إن هذا القدَر الذى أبعدنى عنك إلى حين ، قد صدع صدعاً فى أيامى !

« وخلفى الفراق وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم؛ فلم أودعك يا عزيزتى ، ولم أتحدث إليك ، وسافرت وما تدرين ...

« تُرَى بماذا تحدثك نفسك الآن يا عزيزتى ؟ ... ليتنى قريب

منك ، فأري ، وأسمع ، وأعلم ... بل إنني لأعلمُ علمَ قلبي وإن لم تحدثيني ... وستعرفين عذري ، وتغفرين لي ... وسنلتقي من بعد يا عزيزتي فأحدثك وتحدثيني ؛ وأضحك وتضحكين مي حين نتذكر هذا الحاضر بعد أن تطويه الأيام في مدرجة الماضي ...

« لست أغفر لنفسي ولكنك ستغفرين لي ؛ ويوم يجمعنا القدرُ الذي فرّق بيننا يا عزيزتي ، ويعود ما كان ... وأراك ... ويعود الربيع النضر طلقاً ضاحكا يتهلل ... يومئذ أقول لك ... لا ؛ لستُ قائلها اليوم ، ولن أقولها غداً ، سأجعلها رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً في أذنك ؛ فتضحكين ، وأضحك ، ويضحك الطفل الصغير كأمه وأبيه وإن لم يعرف لماذا يضحكان ... !

« كيف أنت الآن يا عزيزتي ؟ هل رضيتِ وسرّي عنك ؛ إن كان كذلك فاكتبي إليّ لتهدأ نفسي ...

« مضى يومان وأنا في هذا المنأى البعيد كأنهما ليلٌ مطبق ليس وراءه نهار ؛ فكيف تمضي الثلاثون ؟

« ارقبي مطلع الهلال يا عزيزتي فإني أرقبه كل مساء لأعرف متى يحين اللقاء !

« وأترك قلبي لديك وديعة إلى معاد ! »

محبك : كامل

* * *

كانت أناملها باردة كالثلج ، وكانت شفتها تختلج ، وكانت الصحيفة مبسوطة تحت عينيها ولا تكاد ترى ؛ وأحست فجأة ، وقد بلغت آخر الرسالة ، مثل إحساس من يهبط من علوٍّ شاهق مغمض العينين إلى واد من أودية الجنة كان محجوباً عن عينيه فلما وطئته رجلاه فتح فرأى ...

وعادت تقرأ الرسالة ثانية وثالثة ، وكل مرة تجدّ لها فكراً وتوقظ معنى ؛ ثم طوت الكتاب برفق وأودعته غلافه ، وراحت تفكر ... وسألت نفسها : « تُرى من هو ؟ وأين هو ؟ ومتى رآني ؟ وأين ... ؟ »

وتوزعتها الصور والأوهام ، وراحت تكدّ خاطرها ، لتذكر وتعاقبت على مخيلتها صور ورسوم ، ولكنها لم تعرف ... أيّ حيرة ؟

فتى يبلغ حبها من نفسه هذا المبلغ ، فيكتم هواه عنها وعن الناس ، ويقنع منها بالنظر على مبعدة وهي لا تدري ؛ ويطوي جوانحه على ألم الحب ، وبرحاء الوجد ، وشقة النوى ؛ وهي لا تعرف من أمره ، ولا تسمع من خبره ، ولا تحس وقع نظرته ؛ حتى إذا أبعدته بعض شئون الحياة عن طريقها ، وحيل بينه وبين أن يراها ، غلبه الهوى على الكتمان فباح بحبه وأمانيه في رسالة .

أيُّ فتى ذاك ؟ وأين مثله في الشباب ؟ يا له من رجل !

* * *

وأحست الفتاة بعد فترة ، أنها قد غابت كثيراً عن أطفالها ؛ فأصلحت شأنها وعادت إليهم ؛ ولكن خديجة التي فارقتهم غير خديجة التي عادت ...

... ودق الجرس ، وقامت خديجة لتودّع أطفالها وتمضي لشأنها ، ولكن أين تذهب اليوم ؟

وأخرجت الرسالة من حقيبتها وأخذت تقرأ ...

« عزيزتي خديجة ! »

إنه يعرف اسمها ، على حين لم تكن تعرف اسمه ولا تحس وجودَه ؛ بلى ، وإنها إلى الساعة لا تعرف من اسمه إلا الكلمة الواحدة التي جعلها في ذيل كتابه ؛ وكم مرة رآها ، وأتبعها عينيه ، واستمع إليها تحدّث صواحبها في الطريق ، وهي لا تدري ... !

وعادت تقرأ :

« وفجأني الفراقُ وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم ؛ فلم أودّعك يا عزيزتي ، ولم أتحدّث إليك ... وسافرتُ وما تدرين ... ! »

وخفق قلبها ، وأحست مثلَ إحساس المفارق حيلَ بينه وبين الكلمة الأخيرة ؛ وعضت على شفتها ؛ واستمرت تقرأ وفي قلبها وجيب ، وفي دمها سعار يتلهب !

وجلست خديجة في الشرفة في المساء ترقب مطلع الهلال وتحصي ما بقي من ليالي البعاد !

* * *

تغيرت حياة خديجة بعد ذلك اليوم ؛ فكأنما هي تعيش في دنيا غير الدنيا التي عرفتها منذ كانت ؛ وتضاعف إحساسها بالحياة منذ عرفت أن وراء اليوم غداً ، ورأت في عيون أولئك الصغار الذين تعيش معهم نصف حياتها ـ معاني جديدة لم ترها

في عيونهم من قبل ؛ إذ كانت في نفسها معاني الأمومة حين بزغ في قلبها الحب . وعمر ليلها بالأحلام ! ...

ولمحت طفلاً يهمس في أذن رفيقه ؛ فاشتاقت أن تسمع رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً في أذنها فتضحك ويضحك شخص ثان ... !

ووسع خيالها ما لم يكن يسع !

وتعاقبت الأيام ، والأحلام تطاولها وتمد لها ...

ولما خلت إلى نفسها في غرفتها بعد أسبوعين من تلك الرسالة، اعترفت لنفسها بصوت مسموع أنها تحبه ، وأنها تكاد تعرفه لو رأته ... بل إنها لتعرفه يقيناً لا شبهة فيه ... هكذا زعمت وهي خالية إلى نفسها تحدثها !

وارتسمت في خيالها صورة كاملة للرجل الذي جاءتها رسالته ولم تره قط ، ورسمت لنفسها صورة أخرى من خيالها يوم تراه فتعاتبه ثم تصفح عنه !

* * *

وبقي يومان على مطلع الهلال ... ...

وكانت واقفة في الشرفة تستروح رَوْحَ الربيع ، حين سمعت رنين الجرس ... وكن ثلاثاً من صديقاتها ؛ وجلسن وجلستْ معهن في غرفة الاستقبال . ومضى الحديث يتنقل من فن إلى فن إلى فنون ...

وقالت واحدة لجارتها : « متى زفاف أخيك ؟ »

قالت : « لقد أذكرتني أمراً ... فقد أرسل أخي رسالة إلى خطيبته غداة سفره فلم تجبه ؛ فغضب وكتب إليّ يشكوها ؛ وذهبتُ أزورها أمس فإذا هي غضبانة كذلك ، تشكو إلى أن أخي لم يكتب لها منذ سفره ... أرأيت ... ؟ »

واعتدلت خديجة في مجلسها وقالت : « عجيبة ! تقولين إنه كتب إليها فلم ترد ؛ فعم غضبها ؟ »

قالت : « هنا المشكلة ؛ فإن رسالة كامل لم تبلغها ! »

واختلجت خديجة ، وهجس في نفسها هاجس ، وأردفتْ صديقتها : « وبذلك كتبت إلى أخي ليعرف الحقيقة ! »

واختلجت خديجة ثانية وقالت : « أتعنين ... ؟ »

قالت الفتاة : « أعني أن رسالته لم تصل إلى خديجة ... ! »...

* * *

ووضحت الحقيقة كاملة لعيني الفتاة ، وعرفتْ ، واستيقظت من الحلم الرائع الذي عاشت فيه عُمراً سعيداً في أيام ...

ونهضت متثاقلة إلى غرفتها لتفتح حقيبتها فتعود بالرسالة التي ضلت طريقها إلى صاحبتها لتضل هي بها ... ثم دفعتها إلى صديقتها وهي تتمتم معتذرة ... وتهادت على مقعدها خائرة !

* * *

... وصفا ما بين الحبيبين وفاء قلبيهما إلى الرضا ، وتحطم قلب ثالث ...

ولما بصرتْ بهما خديجة بعد أيام يمشيان ذراعاً إلى ذراع ، أتبعتهما عينيها في ألم ولهفة ، ثم دارت على عقبيها ، ورجعت من حيث أتت

وعادت إلى أطفالها الذين كانوا ، تلتمس بينهم العزاء والسلوى؛ فما وجدتْ أطفالها ولكن أطفالَ الناس !

واستنجدت أمومتها ، فإذا أمومتها التي كانت عدتها من قبل في تأليف هؤلاء الصغار — هي أمومة الأثر للغَيرَان الذي يتشهى ولا يجد ، ويرجو ولا يجد سبيلاً إلى تحقيق الرجاء !

ونظرت ، فإذا طفلٌ يهمس في أذن رفيقه ، فابتسمت ، ثم قطبت ، ثم مدت يدها إليهما بالعصا !

وهم طفل أن يناديها ، فأخطأ النداء ونطق على عادته : أمي !

فلوت وجهها لتخفي عن أطفالها دمعة !

وأحس الصغار إحساس الطفولة الملهَمة فداروا بها يسألونها عما بها محزونين وفي كل عين دمعة !

ونظرت ثانية ، فابتسمتْ وسُرّي عنها ؛ ثم ضمت أطفالها إلى صدرها وهي تتمتم :

« لا عَلَيّ يا أحبائي ما دمتم معي ! أنتم بنيّ وبناتي ، وأنا لكم أم ، أم بلا ولد ! »

محمد سعيد العريان

اطلب مؤلفات

الأستاذ النشاشيبي

وكتابه

الإسلام الصحيح

من مكتبة الرسالة ، شارع الملكي (بالأزبكية)

ومن المكتبات العربية الشهيرة

عام الفيل وميلاد الرسول

كتب أستاذ فاضل بتوقيع « قارئ » كلمة فى باب البريد الأدبى من العدد ٣٥٠ من الرسالة ، جاء فيها عدة أسئلة إلىّ بخصوص بعض ما استشكل عليه فهمه فى مبحثى « عام الفيل وميلاد الرسول » المنشور بالعدد ٣٤٨ من الرسالة . والذى أراه أن الروم (البيزانس) كانت معرفتهم ببلاد العرب نظرية، ومن هنا كانت الخطة التى وضعها امبراطورهم جوستنيان مع قواد جيشه بارعة ، لخطة تجرى على خريطة الشرق الأدنى . فقد كان هو سيقوم بمهاجمة تخوم فارس المتصلة بحدود امبراطوريته فى الوقت الذى يتعرض فيه حلفاؤه الأحباش بقوات جسيمة من الجنوب الغربى لفارس ، فيضطر الفرس أمام هذا الهجوم المزدوج أن يقسموا قواتهم ، فيخف مجموعهم أمام الروم ، ويتمكن هؤلاء من ضربهم الضربة القاصمة التى تقضى على نفوذهم خارج بلادهم

وهذه الخطة لو رجعت بها إلى « الخريطة » لوجدتها سهلة ، تدل على براعة ؛ ولكن كل قيمتها تضيع حين تخرج للتطبيق ، فتصطدم بعالم الواقع ، لأن الوضع الاستراتيجى لفارس إزاء الحبشة لا يجعل مجالاً لهجوم كبير عليها ، سواء عن طريق البحر بالتعرض للخليج الفارسى ، أو عن طريق البر بمهاجمة التخوم الفارسية من جهة العراق العربى . ففارس تبعد عن الحبشة بحراً مسافة تتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ كيلومتر ، كما أنها تبعد مسافة ١٠٠٠ كيلو متر وأكثر براً من اليمن قاعدة الأحباش فى بلاد العرب . ونجاح حملة عسكرية على فارس تهاجمها من جهة البحر ، تحتاج على أقل تقدير إلى مائة ألف مقاتل ، وبالتالى إلى أكثر من ألف سفينة تنقلهم إلى الشواطئ الفارسية . ولم يكن الروم ولا الأحباش ولا الاثنان مجتمعين يمتلكون مثل هذا الأسطول الضخم فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . ومن هنا كانت فكرة مهاجمة فارس بحراً غير ممكنة . ولا تناقض فى هذا القول مع القول بنقل الروم بأسطولهم الصغير فى البحر الأحمر قوات الأحباش إلى اليمن ، وهى قوات لم تزد على بضعة آلاف تقدمت لسواحل اليمن واحتلتها ، وبقيت تنتظر تجريدات وإمدادات أخرى ، كان هذا الأسطول الصغير يقلها من الحين للحين ، من الساحل الإفريقى المواجه لليمن ، إلى اليمن . ولا شك عندى أن اليمن لو كانت متحدة ، ولو لم يكن النزاع يأكلها والصراع على أشده بين أقيالها وبينهم وبين مليكهم ، لما نجح الأحباش فى فتحها والاستيلاء عليها بقوات صغيرة . وفى هذا حل الاشكال الثانى الذى استشكله « قارئ » . أما نجاح الهجوم الحبشى برًّا ، فقد كانت تضاريس الجزيرة لا تجعله ممكناً ؛ والأحباش كانوا يعرفون هذا لدرايتهم بشؤون الجزيرة من الوجهة العسكرية عن طريق التجارب ، إذ كانوا يجردون التجريدات العسكرية على نجران بين الحين والحين لإخضاع القبائل الثائرة ، ومن هنا كانت الصعوبات التى يلقونها مضرب المثل . فلا عجب إذا كانت فكرة الأحباش أقرب إلى الواقع من فكرة الروم ، رغم تفوق الروم عليهم فى المعارف والأفكار . ولا يبعد أن يكون الروم لا يجهلون هذه الصعاب ، ولكن الحرب التى طالت بينهم وبين الفرس ، جعلتهم يتعلقون بالأوهام والخيالات علّها تأتيهم بمخرج مما هم فيه . وهذا الموقف نجد له شبيهاً اليوم فى الأحلام التى تداعب رأس هتلر ، فى إمكان مهاجمة حلفائه الروس الهند وضربهم انجلترة فيها ، مع أن هذا الحلم دون تحقيقه من الصعوبات ما لا يغيب على أحد ، والهنود يعرفون اليوم استحالته ، والألمان تدفعهم الرغبة لتحطيم بريطانيا لتصوره ، بل وتصور نجاحه . وهذا لا يضعف بأى حال من الأحوال من ثقافتهم وعلومهم التى جعلتهم متفوقين على معظم أمم الأرض . فإذا وضعنا هذا موضع النظر فإن الإشكال الأول يزول من نفسه ، خصوصاً إذا عرفنا أن معنا حكم التاريخ الحاضر وليس الماضى

بقى أن الفاضل « قارئ » لاحظ أننى قلت فى صدر بحثى أن بروكوب اليونانى تكلم عن تعرض الأحباش للحجاز بتحريض الروم ، مع أن الأحباش لم يكن قصدهم التعرض للحجاز بل مساعدة الروم . وهذا صحيح ، ولكن كما قلت (ص ٤٥١ عمود ٢ من العدد ٣٤٨ من الرسالة) إن إلحاح الروم على النجاشى اضطره أن يأمر عامله على اليمن بالتحرك شمالاً ومهاجمة التخوم الفارسية ،

ولما كان الطريق الطبيعي إلى هذه النخوم يمر بأرض الحجاز ، فإن القوات الحبشية قد ابتلاها الله بالجدري الذي فتك بجندها فاضطروا إلى الرجوع والاعتذار للروم عن تقديم المساعدة إليهم. وتكون بذلك حملة مساعدة الروم وقفت عند حد التعرض للحجاز ، ولم تتجاوزها إلى مابعدها ، فاتخذت في الظاهر شكل حملة على الحجاز ، وكان العنصر المحرض فيها الروم ، بدون أن يكون الغرض منها الحجاز نفسها في حال من الأحوال . وكان يحسن بقارئ أن يراجع نصوص بروكوب وشروح نولدكه وكايتاني وملاحظاتي على هذه الشروح في المصادر التي أثبتها في هوامش البحث ، وفيها سيجد أن بروكوب يقدر أن الأحباش بتحريض الروم ، حاولوا مساعدة جوستنيان بمهاجمة فارس ، غير أن محاولتهم وقفت عند حد الحجاز فلم تتعدها ، وهذا هو تفسير الكلام ، وليس فيه تناقض ولا تضارب مع ما يجيء بعده

اسماعيل أحمد أدهم

أبيات في ديوان اسماعيل صبري ليست له

في ديوان المرحوم اسماعيل صبري باشا الذي طبعته ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر مقطوعة في وصف النيل وردت في صفحة ١٣٠ منسوبة إلى الشاعر وهي لابن خروف النحوي المشهور نظمها حينما وفد إلى مصر ورأى نيلها الميمون .

قال الأستاذ الباحث الشيخ محمد الطنطاوي المدرس في كلية اللغة العربية في كتابه «نشأة النحو» صفحة ١١١ : ومن شعره (يعني ابن خروف أبا الحسن الأشبيلي المتوفى سنة ٦٠٣) في وصف نيل مصر :

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله ... في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع ... تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا ... وإنما هي أرزاق وأرباح

والمقطوعة برمتها موجودة في كتاب « بغية الوعاة في طبقات النحاة » للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

فنتبه اللجنة الموقرة إذا قامت بطبع الديوان مرة أخرى أن تلتفت إلى تلك الحقيقة .

زكريا علي عبد الله
كلية اللغة العربية

وفاة الأستاذ المستشرق مرجليوث

نعت أخبار لندن في الأسبوع الماضي المستشرق الإنجليزي المشهور الأستاذ مرجليوث .

وقد تلقى علومه في جامعة أكسفورد وتولى تعليم العربية فيها من سنة ١٨٨٩ . وقد نشر كتباً عربية هامة ، منها معجم الأدباء لياقوت ، كما نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها إلى الإنجليزية. ونشر آثاراً عربية مختلفة تاريخية وشعرية ، منها قطعة بردي عربية كانت في مكتبة أكسفورد . وألف في مشاهد أورشليم ودمشق كتاباً ، وكتاباً آخر بالإنجليزية في السيرة النبوية

والأستاذ مرجليوث من علماء المستشرقين الأقلاء الذين يعتز أهل العربية بما أدوا إلى لغتهم

نشر المودة بين العالم

ألقى الأستاذ كاتسفليس وكيل جمعية « الأصدقاء في العالم » محاضرة في قاعة « بابازيان » بالأسكندرية استهلها بقوله : إن من يدقق النظر في العالم يدهشه أمران : أولهما تعدد أسباب الموت والفناء من جراء الأعراض الطبيعية مثل البراكين والزلازل والعواصف والأمراض والوحوش المفترسة وغيرها . وثانيهما : ثبات الحياة وتغلبها على عوامل الفناء . ومما يلفت النظر أن ذوات الأجسام الضئيلة كالنمل والذباب تجد أسباب معيشتها على الرغم من وجود أعداء لها أكثر منها قوة وبطشاً

ويتحقق هذا أيضاً في الحياة الاجتماعية ، إذ أن كثيراً من ضعفاء الأجسام والعقول يجدون طرق المعيشة إلى أمد طويل ، في حين أن المتعلمين وأقوياء الإرادة يصعب عليهم أحياناً أن يجدوها

وهكذا ، فإن الأمل لا يمكن ملاشاته من قلب الإنسان . وقد شوهد في جزيرة صقلية وغيرها ، حيث قضت الزلازل على مئات الألوف من السكان ، أن الذين ظلوا على قيد الحياة منهم سرعان ما أعادوا بناء منازلهم في الحال ، وعلى مقربة من البركان الذي كان سبب الكارثة . وهذا ما حدث أيضاً في بلاد الصين واليابان وسواها

ثم استطرد المحاضر فقال : إن الذي نستخلصه من ذلك هو أن قوة الحياة تتغلب على القوى الأخرى المضادة لها ، وأن الأمر

يجرى على هذا النمط فى المجتمع الإنسانى ، فإن قوة المودة ستنتصر فى النهاية ، على الرغم من وجود أسباب الخصام والشرور والحروب والمنازعات . على أنه يجب بث هذه الفكرة ، فكرة المودة والمصافاة ، وتمهيد الطريق لها

ولهذا الغرض قد تأسست « جمعية الأصدقاء فى العالم » ، وجمعيات أخرى مماثلة لها

وقال : إن كثيراً من الناس يحبذون فكرة جمعية « الأصدقاء فى العالم » ولكنهم يقولون بأن تحقيق أمانيها مستحيل ، لأن الناس كانوا منذ بدء الحياة وعلى تعاقب الأجيال فى خلاف وحروب مستمرة

ولكننا نؤكد أنه ما دامت الإنسانية قد فازت على الطبيعة ، وحققت التقدم المادى بالاختراعات والاستكشافات : كالطيران والإضاءة الكهربائية والراديو وغيرها ، فلا شك فى أنها جديرة بتحقيق التمدن الأدبى وهو الأهم ، ولهذا السبب ، أى لكونه الأهم ، فإنه سيستغرق وقتاً أطول مما استغرقه التمدن المادى ، إذ أنه يستلزم كفاح النفس ضد شهواتها وميولها . وهذا الكفاح صعب على الطبيعة البشرية ، ولكنه ليس من المستحيل . والبرهان على ذلك وجود كثير ممن فازوا وتغلبوا على ميولهم الأولى كالغضب والبخل ، وأصبحوا بكفاحهم الداخلى ذوى حلم وكرم

وانتقل المحاضر إلى القول بأن المساعى لم تنجح حتى الآن فى نشر لواء السلام ، لأن الداعين إليه يريدون تأسيسه على الماديات فقط لا على ما تكنه الصدور ، أعنى على القلب

ثم ختم محاضرته بقوله :

« إذا سقط رجل فى الشارع مصاباً بصدمة سيارة وشهده جمع من المارة ، ألا يتهافتون لمساعدته شفقة عليه دون أن يعنيهم مذهبه أو جنسه أو لأى حزب سياسى ينتمى ؟ »

فهذا يدل بلا شك على أن هناك شعوراً مكنوناً فى صدر الإنسان ، وفى أعماق قلبه يمكن بوساطته التفاهم ، وإيجاد المحبة بين الجميع . ذلك الشعور هو الأساس الذى يجب أن ينشأ عليه العالم الجديد الذى تسعى إليه جمعيتنا ، ذلك هو عالم المودة والوفاق والرقى الأدبى والروحى ، أى التمدن الحقيق

وإذا اعترض أحد قائلاً : « ما هى فائدتى الشخصية فى السعى لإيجاد المودة بين الناس كما تقترحه على جمعيتكم ؟ » لأجبته قائلاً : « لأنك لو حققت السلم فى الوسط الذى أنت فيه لعرفت ما هى نفسك التى تجهلها الآن ، ولوجدت فى أعماقها ينبوع الحياة والسعادة التى لا تزول »

نقد وتصويب

تحت هذا العنوان لفت نظرى الأستاذ الفاضل أبو الفضل السباعى ناصف ، إلى بيت فى قصيدة الذكرى ندَّ عن الوزن المعروف ، وأبى إلا أن يمن فى كرمه فأزاح علة الشعر وأصلح زيفه .

وعذرى أننى مع دراستى الوافية للعروض لا أعتمد عليه بتاتاً فى الوزن ، بل أستشير أذنى مساوقاً للنغمات الموسيقية ، وهى حال قد يضل معها الإنسان أحياناً وبخاصة إذا كان قد نال منه الجهد

وإنى لأشكر للأستاذ جميل ثنائه وجم أدبه ورقيق إرشاده وبارع علاجه ، والسلام عليه ورحمة الله على الجنسى

رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة أيضاً

سيدى الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبى المحترم

تحية المروءة والإسلام

أما بعد فقد تفضل الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الهادية المهدية فأدرج لى فى (البريد الأدبى) من العدد الـ ٣٤٦ كلمة صغيرة رجوته فيها نشر ما فى تضاعيف كتابيكم الثمينين : (الإسلام الصحيح ، وكلمة فى اللغة العربية) مما يخص (نهج البلاغة) ، لأن الكتاب الأول ممنوع فى العراق ، والكتاب الثانى نادر الوجود عندنا وذلك تطميناً لرغبتنا الصادقة فى الاطلاع على رأيكم فى (النهج)

وفى نشر الأستاذ (الزيات) لكلمتى دون مقالتكم دعوة ضمنية لحضرتكم إلى تلبية طلبنا بنفسكم ، فأنتم صاحب المقالة ولكم الحق الأول فى نشرها وعدمه

وقد صدر بعد العدد الـ ٣٤٦ ثلاثة أعداد ولم نُتْحَف بمقالتكم ، كما لم نتلقَّ من حضرتكم كلمة فى الجواب على رجائنا

وهذا يحملنا على التساؤل : تُرى لماذا امتنع أستاذنا الجليل

العلامة النشاشيبي عن نشر مقالته في (النهج) ؟

هل تراءت له جوانب جديدة في التحقيق ـ وهو هو المحقق المدقق الثبت الأمين ـ تنسف ، أو تلطف من حدة تلك المقالة فلم يشأ أن يدوس على وجدانه العلمي فينشر رأياً في مسئلة خطيرة لا يؤمن به — الرأي — الإيمان كله .؟

أم هل خشي النقد — ونريد من النقد هنا التنزيه الخالص لوجه العلم والحقيقة لا يدلف إلى سواهما — يطلع به عليه بعض علماء العراق بعد أن يكونوا قد وقفوا على مقالته ؟

إن كانت الأولى : فإن واجب العلم والإخلاص له يحتمان على حامله ألا يتخلف لحظة في نشر ما يتوفق إليه من تصحيح أو تنقيح لآراء خطيرة سبق أن أذاعها وبسطها إلى الملأ من الناس ، وأديب العربية الفذ الأستاذ النشاشيبي ، والحمد لله ، من علمائنا الذين لا يدعون الكمال — إذ الكمال لله وحده — ويعترفون بما قد يقعون فيه من خطأ عن غير عمد (بالطبع) ، والذين لا يبخلون قط في الإفاضة من علمهم الغزير بأسلوب هو غاية في الروعة والتواضع وكرم النفس ، وقراء الرسالة المدمنون على حرثها والإفادة منها يعرفون جيداً هذه الخلة في أستاذنا الجليل (صاحب التواقيع المستعارة العديدة)

وإن كانت الثانية : فإن عهدنا بالنشاشيبي — ذلك الأديب الألمعي الفحل الصريح الشجاع المرفوع الرأس — لا يخاف في الحق — الذي يؤمن به — لومة لائم ، أو نقد ناقد ، أو تحامل جاهل

فكيف إذن توفق يا أستاذ بين هذا وذاك ؟ ؟

وكيف نفسر عدم إجابتكم لرغبتنا الشديدة في نشر مقالتكم الخطيرة القيمة عن « نهج البلاغة » ، في مجلة المروءة والإسلام المفضلة « الرسالة » الغراء ؟ ؟

لعلنا نحظى بالجواب ...

شكور الوسوي

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف

« وحي الرسالة » في رأي سيدة فاضلة

سيدي حضرة الكاتب الألمعي الأكبر الأستاذ اريات :

كبرت مكانتكم الأبوية في نفسي ، فهي لك فيها ولاء وعلى لساني دعاء ... وبعد ، فقد خرج سفرك القيم ، وقرأه كل المعجبين به وبك إلا التي كان يجب أن تكون أول من تقرؤه ، ولكن حظي السعيد أبى حرماني التمتع بحكمه البليغة ، فقرأت منه ما قرأت ، وإذا بي بين « وحي الرسالة » ، وقد جاء طرفة هي في معانيها طرف عِدّة وتحفة في مجالها تزداد على الزمن طرافة وجدّة . وإذا به خرج مخرج صدق في هذه الفترة التي ندر فيها من يعالج أدبنا واجتماعياتنا، وفتر وحي القرائح الخصيبة في دقائقها، وشحت الملكات المجيبة بأسرارها ، فكان كالمنبهة لأهل البصر بهما معاً ، والحذاقة فيهما أن يشحذوا هممهم من كلالها ، ويبرئوا ذممهم من تبعة إهمالها، ويدأبوا دأبهم على خدمتهما، تارة بالتأليف يراجعون به ما انقطع، وأخرى بابتكار الجديد من عوامل النهضة بهما

وقصارى القول أنك فيه لم تدع غاية في التحقيق إلا ابتكرتها، ولا نهاية في التدقيق إلا استبقتها

ولقد عبرت كتابك هذا عبرة ، وجمته لفظاً ومعنى بنظرة ، فإذا لمحات من التحقيق لفن الذوق الأدبي تطبع على غراره الملكات فيكون فيها بلاغة فوق البلاغة ، وبياناً أسمى من البيان

فلك الشكر المثنى كفاء ما جهدت في عملك ، والله المسئول أن ينفع به قارئيه ويكثر في المؤلفين من أمثالك بمنه ويمنه وتوفيقه والسلام ...

المخلصة

رواد صادق عنبر

ذكرى الشاعر المصري اسماعيل صبري باشا

فكر قسم المحاضرات بجماعة الإخوان المسلمين بالمنصورة أن يحيي ذكرى الشاعر المصري الجليل « أستاذ الشعراء » المرحوم إسماعيل صبري باشا بمناسبة ذكرى وفاته في مارس سنة ١٩٢٣

ورغبة في أن يكون للحفل من الجلال : بما يتناسب مع عظم الفقيد العظيم لهذا نتوجه إلى أبناء الدقهلية عموماً وشعرائها وأهل العلم والفضل فيها أن يكتبوا باسم « الأستاذ ابراهيم عبد الوهاب » الإخوان المسلمين . المنصورة . بما تجود به قرائحهم من قصائد أو بحوث أو أفكار ليتسنى للجنة التي ستجتمع بعد خمسة عشر يوماً أن تقرر منهج الحفل وموعده ثم تدعو حضرات الأدباء والشعراء لإلقاء كلماتهم

ولنا كبير الأمل أن نجد للربيع الذي نستقبله والذي كان الشاعر الفقيد خير لسان له الأثر المرجو .

والله أكبر ولله الحمد .

ربيع ١٩٤٠

يوم الاثنين أول ابريل

إفتتاح الموسم

معرض الواردات الحديثة

شيكوريل

نشـــأة النحو

تأليف الأستاذ محمد الطنطاوى

بقلم الأســـتاذ محمود مصطفى

هذا أول كتاب من نوعه فيما أعلم ؛ إذ قد جرت العادة فى الكتب التى تؤرخ فيها العلوم والآداب ، أن يشغل الحديث فيها عن كل فن أو علم بضع صفحات يلم فيها المؤلف بمجمل من تاريخ ذلك العلم أو الفن . فأما أن يملأ الحديث عن علم واحد كتاباً تصل صفحاته إلى الخمسين بعد المائة من القطع الكبير فذلك ما لم نعهده قبل أن يخرج إلينا الأستاذ الجليل والعالم المفضال صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه « نشأة النحو »

والحق أن هذه التسمية « نشأة النحو » تسمية يتجلى فيها التواضع العلمى تمام التجلى فالكتاب ليس عن نشأة النحو فحسب ولكنه يتناول نشأته ودروجه ثم شبابه وكهولته ثم شيخوخته وهرمه وليس ذلك فى قطر واحد من الأقطار العربية ، بل هو حديث مفصل من كل هذه الأطوار فى كل قطر من الأقطار . حديث يتناول المذاهب واختلافها وأسباب نشوئها وعلل تمايزها وينوه بالأعلام من رجالها وما كان لهم من آثار بارزة فى خدمة علمهم وتجلية غامضه وتسهيل سبله

قد يتناول الباحث فى تاريخ العلوم والآداب دراسة علم أو فن لم يدرسه دراسة وافية مستوعبة ولم يكن له به صلة وثيقة، فيكون همه جمع ما كتبه الكاتبون من ذلك العلم وترتيب أقوالهم بما يملك من قدرة على التقسيم والتبويب ، فيخرج عمله معجباً من يعالم عليه ، مرضياً من يريد الوقوف على تدرج هـذا العلم وتسلسل أطواره ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكشف عن أسرار العلم كما يكشف عنها عالم مارسه ودرس كتبه وألم بمسائله وأطال مناقشتها ووازن بين أقوال العلماء فيها ، وتكونت له ملكة الحكم وبيان الصحيح الجيد من الزائف البهرج . وذلك شأن مؤلفنا الفاضل فى هذا الكتاب . فهو إذا وازن بين قولين رأيت الحجة فى قوله واضحة الحجة ، والبرهان يدعم البرهان؛ كالبنيان يشد البنيان . وكذلك من فضل العالم الذى يؤلف لعلمه أن ترى أثر الاجتهاد ظاهراً فى بحثه فهو يضيف إلى أقوال السابقين ما يصبح مادة جديدة فى البحث، والفضل فى ذلك راجع إلى هداية الفكر الصائب والذهن الواعى لمسائل العلم ومباحثه المتشعبة

وفى هذا الكتاب نجد الأستاذ الطنطاوى ظاهراً موازياً تمام الموازاة لآثار السلف الذين نذكر لهم صنيعهم بالشكر ، فقد ذكر المؤلف حفظه الله كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وتلك مسألة ألف القدماء فيها الكتب وأحصوا فيها كل ما كان من ذلك بين أهل المذهبين ، ولكن المؤلف حفظه الله لم يشأ أن يكون ناقلاً فحسب بل إنه وازن بين المذهبين وكانت له بينهما جولة رجح فيها بحق مذهب البصريين على الكوفيين داعماً قوله بالشواهد الصحيحة والعلل المعقولة فكان الناقد الألمعى والحكم الرضى . كذلك نراه يعرض لأثر البغداديين أو الغاربة فى علم النحو فيجمع من آرائهم التى اشتغلوا بها، ما تفرق فى ثنايا الكتب مما لم يعن أحد قبل الشيخ الطنطاوى بجمعه وضم شتاته ، فهذا مظهر من مظاهر الاستقلال فى التأليف نذكره لصديقنا بالإعجاب الفائق

وبعد فكتاب (نشأة النحو) سجل واف لتاريخ هذا العلم منذ فكر فى وضعه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى أن انتهى المتأخرون من تنسيقه وتبويبه فلم يتركوا بعدهم مجالاً لقائل إلا أن يكون فى مثل فضل الأستاذ الطنطاوى الذى أرخ لدولة النحو من بدئها إلى ختامها تاريخاً لم يغادر من أمرها صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه ، فالله يتولاه ويمنحه على هذا الجهد المشكور أتم رضاه وأجزل نعماه .

محمود مصطفى

المدرس فى كلية اللغة العربية

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين ﴾